أحمد أمين خلال سيرته الذاتية " حياتي ":

- دراسة تحليلية -

(Ahmad Amin through his Autobiography " Hayati ":

An Analytical Study)

بحث جامعي لنيل شهادة ما قبل الدكتوراة

الباحث

عتيق أحمد

تحت إشراف

الدكتور رضوان الرحمن

مركز الدراسات العربية والأفريقية

كلية الدراسات اللغوية والأدبية والثقافية

جامعة جواهر لال نهرو

نيو دلهي- 110067

2012

مركز الدراسات العربية و الإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi – 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax: 91-11-2671 7525

Declaration

I declare that the material in this dissertation entitled ***"Ahmad Amin through his Autobiography "Hayati": An Analytical Study"*** submitted by me is original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or any other University/ Institution.

Atique Ahmad

Name of scholar

Dr. Rizwanur Rahman
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067
CAAS/SLL&CS
JNU

Supervisor

27.7.12
Chairperson
Centre of Arabic & African Studies
School of Languages
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067
Prof. A. Basheer Ahmad
CAAS/SLL&CS
JNU

chairperson

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

في أواخر القرن الثامن عشر كانت الدول العربية كافة تتردد في وناء و ضعف من أنفاس اللغة العربية وآدابها، حتى أذن الله لشمس الحضارة أن تشرق ثانية على ربوع النيل، ابتعد عنها الوهن و سرت فيها الحياة، ففي مصر كان ملاذها و غياثها، وفي مصر كان بقاؤها و انبعاثها في شكل الحملة الفرنسية على قيادة نابليون عام 1798م. هذه هي الحملة التي أيقظت المصريين من سباتهم العميق و عرفتهم بالعلوم و المعارف غير تلك التي تلقى في الأزهر.

شهدت مصر في الفترة بين أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين الميلادي عددا هائلا من العلماء الموسوعيين و الأدباء الكبار و والشعراء العظام والمؤرخين و المثقفين الذين تركوا وراءهم عددا وافرا من المؤلفات القيمة و المصنفات الثمينة و قاموا بدور فعال في تطوير اللغة العربية و آدابها في كافة المجالات نثرا و شعرا، من أمثال في النثر مصطفى لطفي المنفلوطي و الدكتور طه حسين و توفيق الحكيم و نجيب محفوظ و محمد حسين هيكل و عباس محمد العقاد و رفاعة الطهطاوي و أحمد أمين وما إلى ذلك، و في الشعرمحمود سامي البارودي و أحمد شوقي و حافظ إبراهيم وغيرهم.

أما أحمد أمين فهو كان عالما موسوعيا و علما من أعلام الفكر و الأدب العربي و الإسلامي و أحد رواد حركة التاريخ الإسلامي و يعتبر من أساطين النهضة العربية الحديثة في النثر العربي، و ترك وراءه تراثا عظيما من خلال مصنفاته القيمة في مجال الأدب و التاريخ والفلسفة و السيرة الذاتية وغيرذلك.

فكتب الأديب المصري أحمد أمين سيرته الذاتية " حياتي" التي ظهرت عام 1950م، بلا شك ولا ريب أن هذا الكتاب نال شهرة فائقة في العالم العربي في أساليبه و طرحه، نظرا إلى أهمية هذا الموضوع و جديته وقع اختياري على هذا الموضوع. البحث جديد وجدير بالبحث وسيجذب أنظار الباحثين وعالمي اللغة إليه ليكون مرجعا موثوقا به حول الموضوع، و أثق بأن هذا البحث سيندرج في قائمة البحوث الممتازة، ولذلك قد قسمت هذه الرسالة إلى ثلاثة أبواب وكل باب يشتمل على عدة فصول مع خاتمة البحث.

أما الباب الأول فتحدثت فيه عن السيرة الذاتية، نشأتها و تطورها، و كذلك فنها و تاريخها في الأدب العربي القديم و الحديث أولا، و في الآداب العالمية ثانيا مع نظرة عابرة إلى دور النساء في السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، والباب الثاني فيشتمل على أربعة فصول، و حاولت فيه إلقاء الضوء على جوانب حياة أحمد أمين المختلفة من حياته و فكرته الاجتماعية و أعماله و خدماته التدريسية و مناصبه المختلفة و مؤلفاته القيمة وكذلك إسهاماته في مجال الصحافة والبيان و إسهاماته الكبرى في مجال التاريخ الإسلامي، والباب الثالث فهو من أهم الأبواب لهذه الرسالة، ناقشت فيه دراسة تحليلة لكتاب " حياتي" يتضمن ثلاثة فصول، و يركز الفصل الأول على تعريف موجز بالكتاب " حياتي" و يعالج الفصل الثاني خصائص الكتاب البارزة، و يسلط الفصل الثالث الضوء على الاعتناء باللغة و أسلوب الكتاب و على الكلمات النقدية حول الكتاب.

هذه حقيقة لا تنكر أن عمل البحث والتحقيق ليس بعمل سهل كما كنت اتوقع قبل دخولي في إيم.فل، كنت أرى عند ما كنت طالبا في صف البكالوريوس والماجستيرأن الحصول على شهادة الدكتوراة سهل جدا، ذلك، لكن أخبرتني

تجارب أعمال البحث والتحقيق الشاقة أنها ليست بسهل، فواجهت مشاكل و صعوبات في توفير المواد المتعلقة بموضوعي، غادرت إلى مكتبات الجامعات الهندية ومكتبات المدارس الإسلامية أيضا لإتمام هذا البحث المهم، ولكنني لم أجد المواد بصورة كاملة. على الرغم من كل ذلك، قد بذلت قصارى جهودي لإنجاز البحث، فأقدم هذه الرسالة طالبا العفو و الصفح عن الأخطاء و الهنات، وأدعو الله وتعالى أن يجعل هذا العمل العلمي نافعا و مفيدا و يكرمني بالتوفيق لتصحيح أخطائي.

و أخيرا أعبر عن خالص شكري و امتناني لجميع أساتذتي و أصدقائي و أحبائي الذين ساعدوني في إعداد هذا البحث بتوفير المواد حول الموضوع أو برأي أو بتشجيع على هذه المهمة، وعلى هذا النحو اتقدم إلى فضيلة الأستاذ المشرف الدكتور رضوان الرحمن بخالص الشكر والامتنان على توجيهاته القيمة ومساعدته العلمية وعلى ما بذله من أوقاته الثمينة لمتابعة هذه الرسالة مع اشتغالاته الكثيرة المختلفة. وإن هناك ليس الإنصاف، وإن لم أقدم جزيل الشكرو الامتنان إلى أخي الكبير وصي أحمد الذي شجعني على الدراسة المتواصلة و قام بتوفير المواد من الكويت وإلى أبي الكريم فيرجع إليهما الفضل الأكبر في إتمام هذه الرسالة، " ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا" فنعم المولى و نعم النصير.

عتيق أحمد

15/ رواق جهيلم

19/7/2012

الباب الأول

السيرة الذاتية ونشأتها وتطورها وفنها في الأدب العربي و الآداب الأخرى

الفصل الأول: السيرة الذاتية: نشأتها وتطورها وفنها

الفصل الثاني: السيرة الذاتية في الآداب العالمية

الفصل الثالث: السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم والحديث

الفصل الأول

السيرة الذاتية : نشأتها و تطورها

"السيرة" في اللغة: هي الطريقة، أوالسنة و الهيئة، و "سار" الوالي في الرعية "سيرة " حسنة، و أحسن " السير"[1]. ويعرف قاموس أكسفورد السيرة الذاتية كما يلي: "كتابة الشخص لتاريخه و قصة حياته بقلمه" وقد ورد في " معجم مصطلحات الأدب" أن السيرة الذاتية" سرد متواصل يكتبه شخص ما عن حياته الماضية".

إن السيرة الذاتية هي التي يتحدث فيها الكاتب بقلمه عن أحواله الذاتية، فيسجل حوادثه و أخباره، ويسرد أعماله و آثاره، ويذكر أيام طفولته وشبابه وكهولته، وما جرى له فيها من أحداث الفرح و الترح، تعظم و تضؤل تبعا لأهميته. وقد تسجل فيها الوقائع والأحداث يوما فيوما و بصورة متقطعة بعد أن تجمع عناصرها من مصادر متعددة.

وإن السيرة الذاتية نكهة خاصة لأن الكاتب يتحدث فيها عن نفسه، فنحس بأن الكلفة قد رفعت بيننا و بينه كما يقول الدكتورإحسان عباس في كتابه: " وكاتب السيرة الذاتية قريب إلى قلوبنا، لأنه إنما كتب تلك السيرة من أجل أن يوجد رابطة ما بيننا و بينه، و أن يحدثنا عن دخائل نفسه و تجارب حياته، حديثا يلقى منا أذنا واعية، لأنه يثير فينا رغبة في الكشف عن عالم نجهله، و يوقفنا من صاحبه موقف الأمين على أسراره و خباياه، وهذا شيئ يبعث فينا الرضى"[2].

---

[1] "أدب السيرة الذاتية" للدكتور عبدالعزيز شرف، ص: 1.

[2] "فن السيرة" للدكتور إحسان عباس ، ص: 93-94.

وإن السيرة الذاتية تعتبر إحدى الجوانب الهامة النابضة بالحياة السردية للذات المحورية وإحدى التجارب الحية المضيئة في حياة أصحابها، وخاصة إذا كانت الذات الكاتبة هي صاحبة القلم التي سطرت هذه السيرة ووضعت فيها من نفسها و خاطرها وفكرها وذاكرتها وتاريخها كلما يعطيها تأشيرة مرور إلى الساحة الإبداعية كعمل أدبي له مقوماته و مزاياه الخاصة، حيث تتسم السيرة الذاتية في هذه الحالة بميسم الصدق الفني والتعبير الذاتي النابع من خطوط عريضة لحياة الذات الكاتبة [1]، وما أصدق الدكتور جونسون الأديب الإنجليزي الشهير، حين يقول: "إن حياة الرجل حين يكتبها بقلمه هي أحسن ما يكتب عنه [2].

مما لا شك فيه أن فن السيرة الذاتية قديم في الأدب العربي وليس من الفنون المستحدثة كما يظن البعض في عصرنا، فكتب بعض القدماء من أعلام الفكر والأدب والعلم عن حياتهم، ومن أهم كتب السيرة الذاتية العربية القديمة " الإعتبار" لأسامة بن منقذ، و "المنقذ من الضلال" للإمام الغزالي، و في العصر الحديث اتجه كثير من الأدباء إلى كتابة السيرة الذاتية بالأسلوب الحديث والتحليل النفسي الممتع ومنها: " الايام" للدكتور طه حسين، و "حياتي" للأستاذ أحمد أمين، و"حياتي" لتوفيق الحكيم، و "أنا" لعباس محمود العقاد [3]. كما يقول الأستاذ محمد عبدالغني حسن في كتابه: " و أول ما استعملت لفظة السيرة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، و سمى المؤلفون فيها بأصحاب السير، إلا أن ذلك لم يمنع مؤلفا في أواخر القرن الثالث الهجري هو أحمد بن يوسف بن الداية-الكاتب

---

[1] A history of Autobiography in antiquity, Part 1, By George Misch, (Translated in English by E. W. Pickes) page: 7-8

[2] "التراجم والسير للأستاذ عبدالغني حسن، ص:23.

[3] " فن السيرة" للأستاذ إحسان عباس، ص: 1-5.

المصري- أن يؤلف كتابا في " سيرة أحمد بن طولون". ولعل هذه هي أول مرة ينتقل فيها استعمال لفظة " السيرة" من سيرة النبي إلى سيرة غيره من الرجال"[1].

أنواع السيرة: لها قسمان فيما يلي:

1- السيرة الذاتية: هي ما يكتبه الكاتب عن نفسه سردا للأحداث التي مرت به في حياته، مثل ترجمة طه حسين (الأيام).

2- السيرة الغيرية : هي ما يكتبه الكاتب عن غيره التي وقعت في حياة الميلاد إلى الوفاة، مثل (العبقريات) لعباس محمود العقاد.

كما يقول الدكتور عبدالعزيز شرف في كتابه:"السيرة الغيرية": هي بحث عن الحقيقة في حياة "إنسان فذ" و كشف عن مواهبه و أسرار عبقريته من ظروف حياته التي عاشها، والأحداث التي واجهها في محيطه، والأثر الذي خلفه في جيله" [2].

إن السيرة الذاتية نقل مباشر، أما السيرة الغيرية – أي ترجمة حياة الآخرين – فإنها نقل عن طريق الشواهد و الشهادات والوثائق و شتان ما بينهما، ثم إن الصفات التي تجعل السيرة الذاتية عظيمة ليست هي الصفات نفسها التي تجعل السيرة الغيرية عظيمة. و في رأس تلك الصفات أن يكون كاتب السيرة الغيرية موضوعيا، يلمح بسرعة و يفهم بأحكام و يلم الحقائق، و يحكم عليها، و يمزجها مزجا متعادلا منسجما، و يصبغها بأسلوبه.

أما كاتب السيرة الذاتية فإنه ذاتي قبل كل شيئ ينظر إلى نفسه و يسلط أضواء النقد و دقة الملاحظة على شخصيته. و مترجم غيره يقف موقف الشاهد

---

[1] " التراجم والسير" للأستاذ محمد عبد الغني حسن، ص: 28.

[2] "أدب السيرة الذاتية" للدكتور عبد العزيز شرف، ص:3-4.

لا القاضي. أما مترجم نفسه فإنه يجمع بين الصفتين، فعلى الأول أن يرتد إلى الخلف لينقل صورة العلم كما كانت معروفة بين معاصريه [1].

صلة السيرة بالفن:

إن كل عمل فني لا بد من أن يكون ذا بناء معين. ثم لا بد من أن تكون غايتها الرغبة في تاريخ حياة فرد من الأفراد – أو جانب كبير من حياته- لا تحقيقا لنظرة خاصة، أو فلسفة محدودة. و هذا يقتضي كاتب السيرة أن يدير الأحداث حول الشخص المترجم و لا يسمح لحياة الأشخاص الآخرين بالتحكم في منحي السيرة، و لا يعرض من حياتهم إلا المقدار الذي يوضح حياة بطل السيرة نفسه. وقد يتجه الكاتب في طريقته نحو التحليل، وقد يتجه نحو التركيب، ولكنه سواء سار في هذا الطريق أو تلك، عليه ألا يسخر الأحكام و الأحداث وملابسات الحياة لعاطفته، فإن إزديادة العاطفة ينحرف بالسيرة عن وضعها الطبيعي، بل لا بد له أن يبني ما يكتبه على أساس متين من الصدق التاريخي فإذا ضعف عنصر الصدق في السيرة لم تعد تسمى سيرة لأن الخيال قد يخرجها مخرجا جديدا و يجعلها قصة منمقة ممتعة [2].

والحرية في الخيال هي التي تضع الحد الفاصل بين القصة والسيرة، فالقصصي حر في الخلق والبناء، يملك أن يتخيل مواقف و محاورات [3]. و إذا كان كاتب السيرة غير محتاج إلى قوة كبيرة من الخيال الخالق، فإنه لا يستطيع

---

[1] "أدب السيرة الذاتية" للدكتور عبد العزيز شرف، ص:5-6.
[2] "فن السيرة" للدكتور إحسان عباس، ص:69-70.
[3] نفس المصدر، ص:71.

الاستغناء عن الاطلاع الواسع. فكل رواية و أحيانا كل كلمة لها قيمتها في إنماء تصوره، وفي تجلية السيرة التي يريد أن يكتبها [1].

فكاتب السيرة أديب فنان كالشاعر والقصصي في طريقة العرض والبناء، إلا أنه لا يخلق الشخصيات من خياله، ولا يعتمد الشخصية الأسطورية ككاتب المسرحية، فهو لا يستطيع أن يقول شيئا عن أوديب أو يمليخا أو شهرزاد، لأن شخصياته تتصل بالمكان والزمان، و لا توجد إلا بوجودهما، و من ثم كان في طريقته أقرب إلى المعمار، و هو كالمؤرخ في قوة النقد، و كالعالم في القدرة على التصنيف والتقسيم [2].

وبالجملة إن السيرة فن لا بمقدار صلتها بالخيال، و إنما لأنها تقوم على خطة أو رسم أو بناء، و على ذلك فهي ليست من الأدب المستمد من الخيال، بل هي أدب تفسيري، و هذا النوع من الأدب كالأدب الذي يخلق خلقا، من حيث أن صاحبه معني بغاية محدودة تهديه في اختياره و ترتيبه للحقائق، و هو كالروائي والقاص أيضا، يحاول أن يكشف عن الصراع بين بطل سيرته و الطبيعة، و صراعه مع الناس الآخرين و مع نفسه وهو يحاول أن ينقل إلى القراء حقيقة ذات قبول عام، و لكنه لا يستطيع أن يحكم خياله في أجزائها، وبدلا من أن يقف موقف الخلاق تراه يقف موقف المستكشف المفسر لأشياء و أشخاص وجدوا في الحقيقة. و لا بأس إذا وضع شيئا من الحرارة في الحوار الذي يجريه في السيرة، فذلك مع البناء العام لها، كفيل أحيانا أن يحقق الخطة المؤثرة، و أن يثير العطف على بطل السيرة [3].

---

[1] نفس المصدر، ص:78.
[2] "فن السيرة" للدكتور إحسان عباس، ص:79-80.
[3] نفس المصدر، ص: 84-85.

الهدف لكتابة السيرة الذاتية:

إن الهدف والغاية التي تحققها كتابة السيرة الذاتية من صاحبها هي تخفيف العبء عن عاتقه بنقل التجربة الذاتية إلى الآخرين، و دعوتهم إلى المشاركة فيها، فهي توفر فرصة للفنان يريح نفسه بالاعتراف و لإيضاح موقفه من المجتمع ويعني ذلك أنه يكتب ليستفيد بالتنفيس عن مكنونات قلبه وإطلاق نفسه من عقالها، وليحصل على المتعة الفنية المستحدثة عن الصدق والقدرة على التأثير، و يكتب ليفيد الناس بتجاربه الذاتية و مشاركته لهم:

1- فإذا كان يحس بالإضطهاد من المجتمع، تخفف من هذا الشعور بالحديث عنه.
2- و إذا أحس بوقع ذنوبه و آثامه، أراح ضميره بالاعتراف بها قمع نفسه بالإعلان عن سيئاتها و وقف منها موقف المتهم والقاضي معا.
3- و إذا مر بصراع نفسي و روحي و فكري وخرج منها سالما رسم صورة لذلك الصراع و أنهى قصته بالهدوء الذي يعقب العاصفة، والاستبشار الذي يأتي بعد اليأس.
4- إذا فشل و أخفق أو هزم أو اتهم، فهو يرضى ضميره و يظهر الاعتذار والتعليل والتبرير لما حصل، فالكشف عن دخائل نفسه والطريق الصحيح ليقدره الناس من حوله وظهور صدقه [1].

---

[1] - "الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث" للدكتور يحي إبراهيم الدايم، ص:2-16.

العوامل لكتابة السيرة الذاتية:

إن العوامل التي تدعو الكتاب والأدباء إلى كتابة سيرهم الشخصية عديدة، فهي تعتبر عموما قولا قاطعا يتعلق بميسرة حياة كاملة أو ردا غير مباشر على آراء جدالية تعرض لها الكاتب في حياته أو موقفا تجاه قضايا تخص الوجود أو المجتمع أو السياسة و إذا كان الكاتب صاحب السيرة الشخصية يشعر بوقع الزمن الذي يهدده و يعرض مشروعه للتلاشي في مرحلة ما من مراحل الحياة، فإنه قد يجد في تأليف ترجمته الشخصية الفضاء الأوسع لقطع مواقفه تجاه حياته و المناخ الثقافي الاجتماعي الذي يعيش فيه، و تستدعي السيرة الشخصية لكاتبها اللذة الفنية الفريدة في فعل الكتابة نفسه، وقد يجد الكاتب و المبدعون عندما ينغمون في فعل الكتابة ضربا من اللذة الذاتية، و لكن هذه اللذة الفنية تبلغ أقصاها في كتابة السيرة الشخصية، ذلك لأن كاتب الترجمة الشخصية يتلذذ باستحضار الذكريات السعيدة التي عاشها [1]، وقد عبر كاتب السيرة الذاتية في الأدب العربي عن هذه اللذة الفنية الفريدة التي عاشوها و هم يكتبون سيرهم الذاتية، فيقول محمد شكري في بداية سيرته الذاتية المعنونة ب "الخبز الحافي:" ها أنا أعود لأجوس كالسائر نائما، عبر الأزفة والذكريات عبرما خططته عن حياتي الماضية-الحاضرة- كلمات و استيهامات و ندوب لا يلئمها القول، أين عمري من هذا النسيج الكلامي؟ لكن عبير الأماسي الليالي المكتظة بالتوجس واندفاع المغامرة يتسلسل إلى داخلتي ليعيد رماد الجمرات غلالة شفافة أسيرة [2]. وكذلك ورد في إحدى المجلات الثقافية عن محمد شكري هذا التصريح: "لماذا أتحدث عن جمال الآخر و أنا جميل، و أنا نرسيسي، و أنا أجمل من التي لا تحبني، أنا قوي و شاب" وبعد ذلك ينهض محمد

---

[1] مجلة " البعث الإسلامي" نوف-مبر 2011، ص:71 (نقلا عن "Time in Autobiography By Burton Bike page: 326 -329

[2] نفس المرجع، ص: 71 (نقلا عن " الخبز الحافي" للأستاذ محمد شكري، ص:7.

شكري و يتوجه نحو طاولة مجاورة و يضع عليها كرسيا و يقفز فوق الكرسي بطريقة بهلوانية ثم يعود إلى مكانة و يقول: "لماذا أتكلم عن جمال أملكه أنا نفسي، عندما نحب الآخرين، نحب أنفسنا في الآخرين، أنا الذي يمنح الجمال للآخرين، و لن أمنحه بعد اليوم، لأن في ذلك الكثير من الخبث و المراوغة و أنا أحب نفسي فقط أنا الوجه والمرآة في آن [1].

وهكذا تكتسب السيرة الذاتية قيمتها من وعي الكاتب نفسه بأهميتها، فالحياة التي ترويها والتي عاشها صاحبها يجب أن تكون جديرة بأن تروى، فما من حياة شخصية تروى عاشها كاتبها عبثا، و على هذا النحو يعبر الإنسان عن معنى وجوده، فيقول جورج ماي (George May): إن السيرة الذاتية " تنشأ من رغبة الكاتب في استعادة مسار حياته ليدركه و ليهنأ باله بما ينتهي إليه من نتائج تطمأنه إلى أنه رغم الحوادث والتناقض والفشل والنكوص على الأعقاب والتردد والتمكر، لا يزال كما كان و أن الهوية الأثيرة للأنا لم يمسسها سوء" [2].

هذه هي العوامل والدوافع الذاتية وراء كتابة السير والتراجم فهي بمثابة دوافع توفر الأساس والبنيان لكاتب السيرة الذاتية، فالإحساس الحاد بالزمن واللذة الفنية هي كلها عوامل و أسباب قد تجتمع معا وقد تغيب بعضها و يحضر بعضها الآخر.

الشروط لكتابة السيرة الذاتية:

إن السيرة الذاتية تكتب مرة واحدة فقط لا تكتب مرارا، لأن نص السيرة الذاتية نص مهم في حياته الأدبية والاجتماعية عند صاحبه الذي كتبه، وكان نفسه

---

[1] نفس المرجع، ص:71 (نقلا عن "المجلة السبع" الصادرة من السعودية العربية، ص:33.

[2] مجلة " البعث الإسلامي"، نوفمبر 2011، ص: 72

موضوعا له في ذلك الوقت، ولأن السيرة الذاتية تكتب بعد الخمسين عاما من عمره عادة، وأن جميع التدريبات في السيرة الذاتية يجب أن يكون فيها التعميم، ومن الناحية الهيكلية، وعمل التذكير يجب أن يكون واضحا تماما في نتائج التذكيرالعملية [1] و أن كتابة السيرة هي كتابة غير عادية بالنسبة إلى الذي يكتبها والذي يقرؤها، وعلى هذا النحوتخضع لشروط خاصة تتصل بفعل الكتابة لا بالكتابة ذاتها، وإذا أقبلنا أن السيرة الذاتية يمكن أن يمثل جنسا أدبيا فليس لنا حق أن نسأل القصاص أو الروائ أو الشاعر أو غير هم من المبدعين أين ومتى ولماذا كتب نصه، ولكن كاتب الترجمة الشخصية محكوم بأسئلة الزمان والمكان والموضوع، متى وأين ولماذا؟ إن السيرة الذاتية هي تقاليد الثقافة العربية، ولكن العرب مع تطور نهضتهم الأدبية استوعبوا أجناسا أدبية لم تكن راسخة التقاليد في الثقافة العربية عموما، ولذلك سيكون وضع السيرة الذاتية أشبه بوضع الرواية وفن المسرح والقصة القصيرة وغيرها من الفنون الأدبية الأخرى التي جاءت إلى الثقافة العربية نتيجة علاقتها المباشرة و غير المباشرة بالحضارة الغربية عموما، فالدكتور طه حسين الذي ألف كتابه" الأيام " الذي يعتبر حتي الآن النص التأسيسي للسيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث هي نتاج هذا اللقاء الفاعل بالحضارة الغربية عموما، والثقافة الأوربية بصفة خاصة ونشأت السيرة الذاتية مع كتاب" الأيام " نوعا أدبيا استوفى شروطه الفنية [2].

ثمة إذن شروط عامة لفن السيرة الذاتية ومنها تحديدها أن تكون إبداعية واسعة، ويعتبر أن هذا الفن الأدبي الحديث لا يصح إلا بها ويعرضوها الكتاب

---

[1] The Critique of Autobiography By Marc Eli Blanchard page:111-112

[2] L. AUTOBIOGRAPIE BY GEORG MAY "التعريب لاسم:" السيرة الذاتية" بقلم: عبد الله صولة ومحمد القاضي،ص:63-64

على أساس أنها شروط إنشائية علمية لا تميز بين الثقافات المختلفة ولا تفصل بين التجارب الفردية وهي شروط تتصل بالزمان والمكان والغايات والأسباب.

وإن كاتب السيرة الذاتية ليس كاتبا عاديا- كما ذكرنا آنفا- أن الذي يكتبها هو من بلغ شوطا كبيرا من حياته الأدبية أو الفكرية أو السياسية أو المهنية العامة، ولكن هذا يعتبر في السيرة الذاتية في معناها العام، فلا أحد يشك في أن طه حسين عند ما ألف كتابه" الأيام " فكان شخصية ثقافية كبيرة، بل كان شخصية إشكالية بسبب آرائه الجرئية في الأدب ولا سيما عند ما نشر كتابه" في الشعر الجاهلي" و كذلك عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني كلاهما كان شاعرا، وكلاهما كان ناقدا أديبا ولكنهما كانا على رأس" مدرسة أدبية نقدية" (مدرسة الديوان) كاتبين مجادلين حادين في جدالهما خاضا معا في معارك أدبية، وأحمد أمين جاء من القضاء إلى الأدب، فقد لفت أنظارالقراء بإسلامياته وقد أضحت هذه المؤلفات مرجعا أساسيا في تطور الثقافية العربية[1]، إن هذه الأمثلة التي قدمناها وهي من نصوص مدونة للسيرة الذاتية العربية تؤكد أن كاتب السيرة الذاتية هو أقرب إلى الشخصيات العامة في أغلب الأحيان عموما فليس من اللازم أن يكون كاتب السيرة الذاتية من ذوي الشهرة دائما.

أسلوب كتابة السيرة الذاتية:

ويتمايز كتاب السير بالطريقة والأسلوب، فقد يختار الواحد الطريقة الدرامية كما فعل ستراتشي في حياة الملكة فكتوريا، ومثل ذلك فعل جرارد ولتر Gerard Walter في كتابه" يوليوس قيصر"، إذ يكاد يكون كتابه هذا مسرحية ذات ثلاثة فصول.

---

[1] " أوراقي.....حياتي" لنوال السعداوي، ج/2، ص: 7

وقد يختار الكاتب الطريقة الحكائية السردية، كما فعل بوزول حين كتب سيرة جونسون. وربما وجد من الأنسب أن يستعمل طريقة التفسير والشرح وذلك جانب مما اهتم به نعيمة في سيرة جبران. وقد يمزج بين واحدة و أخرى من هذه الطرق، حسب ما تمليه عليه طبيعة الموضوع، إذ ليس من مرشد إلى الطريقة المثلى إلا حس الكاتب نفسه، ففي هذا وفي الأسلوب موطن للتفرد الذاتي. وقد تكون الحقائق التي يوردها كاتب السيرة معروفة مشهورة، فميزته الفارقة تتضح في طريقة قولها – أعني في أسلوب الأدب- و هذا عنصر هام لا بد منه في السيرة الأدبية، فأكثر الحقائق التي يعرضها العقاد في العبقريات معروفة – كما قلت من قبل – للكثير من الناس، و لكن طريقة عرض العقاد لها، بذلك الأسلوب التقريري الحاد هو الشيئ الجديد الذي يملك به القاري أو يكسب ثقته، لأنه في أسلوبه يوحى بأن ما يقوله هو الصدق عينه، لقيامه على ما يعتقده أنه المقرر المرسوم من حقائق العلم و الطبيعة الإنسانية.

و في البناء والطريقة، يختار الكاتب التقسيم الذي يريده، فليس عند بوزول مثلا تقسيمات موضوعية كما أن كتابا آخرين قد يقسمون حياة بطل السيرة إلى مراحل: أولى و ثانية وثالثة الخ.... و آخرون يخرجون على هذا النوع التقليدي كما صنع جرارد ولتر في سيرة قيصر[1].

وبالجملة أن السيرة الذاتية لا تكتب في أسلوب واحد، و لذا نلاحظ ثلاثة أساليب لرسم السيرة الذاتية وهي كما يلي:

1- الشكل التقليدي السردي: القائم على سرد الأحداث والوقائع مع الاهتمام من قبل الكاتب بتسجيل و إظهار التطور النفسي و العقلي لشخصية موضوع

---

[1] " فن السيرة " للدكتور إحسان عباس، ص:87-88.

السيرة، كما يهتم بالتحليل و التأمل و الإيضاح والتفسير، و إذا كان كاتب السيرة هو صاحبها، يعمد إلى التعبير عن أفكاره و يوضح عن ذاته و يفصح دخائلها و دوافعها، و يكتب تحوله و تطوره في مختلف مراحل حياته الذاتية، وهو لا يعنيه أن يكتب سيرته في شكل فني، إنما جمع سيرته في شكل فصول محاولا إيجاد الوحدة و التمساك، بينهما بقدر الإمكان عن طريق التطور الزمني في ذكر مراحل حياته منذ حياته الابتدائية، ماضيا في تعريض مراحل عمره المتعاقبة حتى يطلعنا على أطوار شخصية في تدرج و ترابط و ازدياد و نمو، و يغلب على أسلوبه السرد والتقرير و البعد عن التصوير.

2- الشكل التصويري: يجمع فيه الكاتب بين الطريقة السردية السابقة و بين الطريقة الروائية والفنية القائمة على التصوير للتجارب والأماكن والمواقف والشخصيات تصويرا يعتمد على الفن الروائي مثل إجراء الحوار الأدبي والاستعانة باللفظة الأدبية في الحوار، وهذا الشكل مزيج من أسلوب المقالة حين يظهر عن حالته الفكرية و النفسية ومن أسلوب الرواية في التصوير للحقيقة، و برع في هذا الأسلوب الكتاب الذين دربوا و مارسوا العمل الروائي قبل أن يكتبوا سيرهم الذاتية.

3- الشكل الروائي: إنه الشكل الأرقى في تأليف السيرة الذاتية حيث تتسع مساحة الإبداع و يسمح للمخيلة بأن تلعب لعبتها الفنية و يقدم عليه الروائي المتمرس عندما يريد كتابة سيرته حيث يصوغ تجاربه و مواقفه في شكل روائي و يتمسك بعناصر الحقيقة فيما يقصه و يتيح له هذا الشكل أن

يتوارى خلف شخصية بطل الرواية، ليصور الأحداث والمواقف التي مر بها، في حرية من الإحراج.

إن هذا الشكل الروائي في كتابة التراجم أكثر تواترا في الأدب العربي الحديث بين الأشكال والأخرى، ثم إن أشهر نصوصها و أرقاها إبداعا هي النصوص التي كتبت بأسلوب الشكل الروائي ابتداء من النص التأسيسي الأول "الأيام" للدكتور طه حسين، وكذلك يعد في هذا الشكل كتاب " الخبز الحافي" لمحمد شكري و "أوراقي" ... حياتي" لنوال السعداوي وغيرهم من الكتاب[1].

أهم السمات الفنية للسيرة:

1- اعتماد السيرة على عنصر التشويق الذي يجذب القارئ و يمتعه.
2- تماسك الأحداث و تواصلها و تتابعها لارتباطها بالتاريخ الحقيقي للسيرة.
3- استخدام الكاتب للطريقة القصصية.
4- جنوح بعض الكتاب إلى الخيال المنظم الذي لا يبعدهم عن التاريخ الحقيقي و ليس الوهم.

العناصر الفنية للسيرة الذاتية:

إن العناصر الفنية التي تتميز بها السيرة الذاتية الحديثة هي في الحقيقة العناصر الأدبية في أكثر الأحيان، و أن أكثرما كتبه العرب عن أنفسهم صاغوه في أسلوب واضح سهل قائم على الإيجاز المحكم، و يتصف بسلاسة السرد والبيان القصصي، والعبارة العذبة و حسن العرض، والقدرة على إعادة الماضي و بعث الحياة والحركة والحرارة في تصوير الأحداث والتجارب والشخصيات،

---

[1] " الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث " للدكتور يحي إبراهيم الدايم، ص: 126.

وقد امتاز كثير من هذه السير الذاتية بالوضوح والصدق والتجرد في كثير من النظرات والآراء والتجارب المتصلة بالذات و بالشخصيات و بعضها صور أصحابها ما عانوه من صراع داخلي و خارجي، تصويرا دافقا بالحيوية و الازدياد والنمو، ويكشف من هذه التراجم الذاتية بإثبات عنصري الزمان والمكان والكشف عن أسماء الشخصيات والأماكن وتعزيز الأحداث بإثبات التاريخ و بعض الذرائع و المدونات مع محافظة الاسترسال، وعلى السرد الأدبي الجالب للمتعة المرادة من العمل الأدبي، مما جعل السيرة الذاتية تحظى بعناية كبيرة من قبل الأدباء والكتاب و يقابلها الجمهور بإقبال شديد، لأنها عرضت حاجة العرب إذ نقلت لهم الواقع الملموس في صورة قصصية سهلة عذبة و كانت تقوم إلى جانب السيرة الغيرية، بهذا الدور الأدبي على مدى أجيال طويلة [1].

و أن أقرب السيرة الذاتية إلى السيرة الذاتية الأدبية بمعناها الحديث هي تلك الكتب التي كتبها الأمير عبدالله و أسامة بن منقذ و ابن الهيثم و الرازي و ابن خلدون، لأنها توافر فيها أكبر قدر من المتعة، إلى جانب تصوير كل منها مع مهارة السرد الأدبي والذي يعتمد على كثير من عناصر الفن وعلى الدقة والصراحة والعذوبة و السهولة و يعتمد أيضا على قدر من الترابط في أجزاء كل سيرة ذاتية، إن كلها من الأسباب والعوامل التي تحقق المتعة الأدبية الفنية و تثير التعاطف والوجدان بين كاتب السيرة الذاتية، و يدعوه إلى المشاركة مختلفا من تجاربه و انفعالاته و خواطره، يذهب أدباء السيرة الذاتية إلى أن السيرة تصلح للتدريس، ذلك للأساليب التالية:

---

[1]- SOME PRINCIPLE OF AUTOBIOGRAPHY BY WILLIAM L HOWARTH PAGE: 365-368

1- إن الإنسان الفرد أبسط كموضوع للدراسة من القبيلة أو المدينة أو الأمة التي ينتمي إليها.

2- إن للأطفال ميلا طبيعيا مفيدا نحو الشخصيات، فهو يعيشون مع أبطالهم ويقاسمونهم، بذلك تتسع دائرة خبراتهم بصورة لا تكاد تعقل في حالة دراسة الجماعات.

3- إن نعرف الشخصيات العظيمة النبيلة في التاريخ يخلق رغبة في التشبيه بهم و يبعث على بغض سلوك الشخصيات الشريرة.

4- إن من الممكن أن نجعل الأفراد يمثلون الجماعات، بحيث تكون دراسة لخصائص الأفراد و خبراتهم [1].

صلة السيرة الذاتية بالتاريخ:

إن صلة السيرة الذاتية بالتاريخ صلة قوية، ذلك لأنهما يشتركان في تسجيل الوقائع والأحداث والمواقف في تصوير مختلف البيئات والمآثر والكشف عن الصور المادية والنفسية وإذا كانت السيرة الذاتية تنبع من صلب الأدب بخلاف التاريخ بالطبع العملي فهذا لا يعني أن الحس التاريخي منعدم في كتابة التاريخ الخاص، بل إنه على العكس حاضر بأبعاده الثلاثة المتمثلة في الماضي والحاضر والمستقبل، والظاهر لأول وهلة أن الترجمة الشخصية تتخذ موقعا وسطا بين الأدب والتاريخ، و إذا نظرنا أكثر في طبيعة هذا الجنس الأدبي وصلنا إلى تعبير دقيق عميق من حيث حمولته الأدبية، و هو أن هذا اللون من التعبير تتجاذبه قوتان: سلطة الأدب و قوة التاريخ، لأن الكاتب يصوغ تاريخه الخاص صياغة أدبية، وبسبب واقع التجارب بين الأدب و التاريخ تتميز السيرة الذاتية عن

---

[1]- " فن السيرة " للدكتور إحسان عباس، ص: 83-91

باقي جسد التاريخ العام مع أن الأصل في التاريخ الإنساني هو مجموع التواريخ الخاصة، سواء الفردية منها أو الجماعية، و أن الترجمة الذاتية لا تسقط من فضائها، و إن كان الزمن في الترجمة الذاتية الإسلامية الحديثة يرتبط بالعودة إلى مرحلة أو عدة مراحل، و هي في ذات الوقت عودة إلى فضاءات و تاريخ يلتقى فيه و يتكامل التاريخ الفردي، والجماعي، و إنها عودة تجد في الكتابة حاضرها و في الذاكرة ماضيها، و لاريب أن المسافة بين الكتابة والذاكرة أو بين الحاضر والماضي تاريخية و سردية في آن واحد [1].

وما من شك في أن للحس التاريخي دورا كبيرا و تأثيرا مباشرا في إدراج نص السيرة الذاتية وعرضها، و في تحديد البناء العام لكل تاريخ فردي.

إن السيرة الشخصية أكثر نبضا من التاريخ بالحياة والتجارب الفردية بحكم محورية الذات في هذا اللون من التعبير من جهة و ثانوية الأحداث من جهة ثانوية، و من السهل أن نتنبه إلى كون التاريخ أحد وجوه فتنة هذا الجنس الأدبي، أن التاريخ يجري وراء الحقيقة باحثا ممحصا ثم مبددا لأي غموض في عديد جوانب الحياة الإنسانية[2]، فالسيرة الذاتية تكتفي بأثر الحياة في ذات الإنسان وكانت ولاتزال أكثر احتفالا بالأدب الذاتي من كل ألوان التاريخ حتى إن التاريخ يعبر عن مدى غنى الحياة الداخلية للإنسان و أن السيرة الشخصية هي ملتقى الحق الأدبي و الحق التاريخي.

وهناك عدة أمور تبعد السيرة الذاتية من الأدب و تقربها من كتب التاريخ وهي كما يلي:

---

[1]- مجلة " البعث الإسلامي" نوفمبر 2011،ص:74، (نقلا عن " The Autobiography and Life History By Percival M. Symonds page: 206)

[2]- The Autobiography in modern Arab literature and culture By Thomas Philipp page: 577-578

1- الالتزام في كتابة السيرة الذاتية بالصدق التاريخي ليس بالصدق الفني و أن هذا الالتزام يجعل الكاتب أن يقف عند الحقائق، يعرضها ويرتبها ترتيبا خاصا، فيصعف عنصر الخيال الذي كان يمكن أن يجعل من السيرة قصة ممتعة و جذابة.

2- البعد عن سيطرة العاطفة على ما يصدره من أحكام فكاتب السيرة الذاتية له ضروري ألا يسخر الأحكام والوقائع والأحداث لعاطفته، فإن ازدياد العاطفة ينحرف بالسيرة عن وضعها الطبيعي [1].

[1] -"فن السيرة" للدكتور إحسان عباس، ص: 88-103، و " الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث" ليحي إبراهيم عبد الدايم، ص:5-26، و The Autobiography and Life history, By Percival M.Symonds: 207-209

TH21451

الفصل الثاني

السيرة الذاتية في الآداب العالمية:

وفي السيرة الذاتية بالغرب معالم كبيرة كان لكل معلم منها أثره في كتابة السيرة الذاتية وطريقتها، وفي طليعة تلك السير" اعترافات القديس أوغسطين" فإنها فتحت أمام الكتاب مجالا جديدا من الصراحة الاعترافية، وشجعت الميل إلى تعرية النفس، في حالات كثيرة تلتبس بالآثام، أو ينقل فيها عناء الضمير. ثم هنالك" اعترفات روسو " وقد خطت بالصراحة المكشوفة خطوة جديدة، وكان صاحبها حين بدأ كتابتها يشعر أنه يقوم بعمل لم يسبقه إليه أحد، ولن يوجد من يقدر على محاكاته فيه، وقد عنى روسو فيها عناية فائقة بالصراع الداخلي، دون تفلسف كثير حول ذلك الصراع، فجاءت مثلا ساطعا على نقلها الواقعي للحياة[1].

إن السيرة الذاتية هي قصة حياة فرد من الناس، يكتبها صاحبها بنفسه. ويذهب هذا الفهم إلى أن أي قصة يكتبها الشخص بنفسه عن حياته، قد تكون من قبيل السيرة الذاتية، ولكن الحقيقة أن السيرة الذاتية Autobiography كجنس أدبي تنفرد عن بعض الأشكال المتقاربة، وبخاصة" المقال الشخصي " Personal essay و " اليوميات " diary و " المذكرات اليومية " travel journal التي تستخدم في السفر، و " رواية السيرة الذاتية autobiographical novel التي يتضح من اسمها أن موضوعها شخصي، ولكن كاتبها ليس كاتب

---

[1]- " فن السيرة " للدكتور إحسان عباس، ص: 106

سيرة ذاتية محترفا، ومع ذلك فإنها يمكن أن تملي، ويمكن أن تكتب، وإن كان هذا قلما يحدث بصيغة ضمير الغائب [1].

وكل هذه الأعمال من قبيل السيرة الذاتية بالمعنى الواسع، ولكن اعتبارها سيرة ذاتية سوف يدخل في هذا الجنس جانبا كبيرا جدا من الأدب العالمي، لأنه من النادر حقا أن نجد عملا من صنع الخيال لا يحتوي على عنصر من عناصر الكشف عن الذات. والشكل الوحيد الذي له صلة، والذي من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، فصله منطقيا من السيرة الذاتية هو المذكرات memories. فكاتب المذكرات عادة هو شخص لعب دورا مميزا في التاريخ، أو أتيحت له الفرصة لكي يشاهد عن كتب التاريخ في صنعه. والحروب الأهلية في إنجلترا في القرن السابع عشر أسفرت عن سيل من مثل هذه المذكرات، و التي منها مذكرات سير إدموند لودلو Sir Edmond Ludlow (1617-1693) و سير جون ريرسبي Sir John Reresby(1634-1689).

وقد تفوق الفرنسيون، بصفة خاصة، في هذا الجنس. وثمة ثلاثة أمثلة لافتة للنظر من القرن السابع عشر، هي:

1- مذكرات مدام موتفيل Langolois de Motteville (1621-1689) بعنوان: Memories pour server a l hisroire d Anne de Autriche de" و قد نشرت عام 1723.

2- مذكرات الكاردينال دي ريتز Cardinal de Rets (1614-1689) بعنوان" Memories" وقد نشر عام 1717.

---

[1] - " أدب السيرة الذاتية " للدكتور عبد العزيز شرف، ص:36-37

3- مذكرات الدوق دي سان سيمون Duc de Siant- Simon(1675-1755) بعنوان" Memories"، ولم تنشر غير عام 1829.

و مهما يكن من أمر فإن المذكرات ، في الوقت الذي تكشف فيه، لا محالة، عن جانب كبير من أذواق و طابع الكاتب، تركز أولا بؤرة الاهتمام على الأحداث الخارجية، وعلى أشخاص آخرين، ومن ثم فإنها ليست بالمعنى الدقيق شكلا من أشكال السيرة الذاتية.

وعبارة " سيرة ذاتية " لم تتم صياغتها حتى ختام القرن الثامن عشر، قبل ذلك العهد، كانت كلمة مذكرات "Memories " كثيرا ما تستخدم لأعمال تسمى الآن سيرا ذاتية، والتمييز بين الشكلين كثيرا ما يتحول إلى فرق في الدرجة لا في النوع [1].

السيرة الذاتية في الماضي:

كثيرا ما كان الكتاب في الزمن القديم يكشفون عن قدر كبير من أنفسهم، كما فعل هوراس (Horace) مثلا في أشعاره، و شيسرون (Cicero) في رسائله. و لكن ليست هناك، بمعنى الكلمة، أية أمثلة لسير ذاتية باقية من الأدب الكلاسيكي، و على الرغم من أن " الاعترافات القديس أوغسطين "Saint Augustine (-354 430م) تسحتق لقب أقدم سيرة ذاتية باقية، لا تزال حتى اليوم من أفضل السيرة الذاتية، وإحدى السير الذاتية التي لها أعظم تأثير على الكتاب المتعاقبين.

و أقدم رواية لسيرة ذاتية باللغة الإنجليزية انحدرت إلينا، هي الكتاب الغريب المستوعب "كتاب مارغري كيمب" Book of Margery Kempe، الذي كتب

---

[1]- "أدب السيرة الذاتية" للدكتور عبد العزيزشرف، ص:36-38.

في أوائل القرن الخامس عشر، و لكنه لم يكشف إلا عام 1934م في مكتبة خاصة في لانكشاير Lnacashire [1].

السيرة الذاتية في عصر النهضة و ما بعدها:

يبدأ تقليد كتابة السيرة الذاتية في عصر النهضة بالكتاب الساحر "حياة بنفثيوتو شليني Vita di Bonvenuto Cillini، وكتب جانب منه و أملي الجزء الآخر بين عام 1558م و 1562م.

وثمة أمثلة أخرى هي قصة توماس هوايثرون Thomas Whythrone، و قد كتب حوالي عام 1576م، ولم تكشف إلا في عام 1955م. و "الحياة الإنسانية المثالية العجيبة" Exemplar humance Vitae (1687م) لأوربيل أكوستا Uriel Acosta. وعلى الرغم من أن معظم هذه السير لم تنشر إلا في القرن التاسع عشرن فإنها لا تقدم أوصافا واضحة مشرفة للعهود التي كتبت فيها فحسب، بل أيضا للشخصيات الهامة المختلفة بصورة مذهلة للنساء في القرن السابع عشر.

و شهد القرن الثامن عشر سيرا ذاتية عديدة، و أصبحت أعمالا كلاسيكية من الأدب العالمي. ومن بين هذه السير " السيرة الذاتية " Authobiography (1766) لبنجامين فرانكلين Benjamin Franklin، و سلسلة المذكرات التي ألفها إدوارد جيبون Edward Gibbon (1796) عن نفسه بعنوان Autobiography، وفوق كل شيئ "اعترافات" لجان جاك روسو (1781-1788م) والتي تثبت أهميتها لتطوير السيرة الذاتية. وعدد السير الذاتية في هذا العهد كبير جدا لا يمكن ذكره بالتفصيل، ولكن يجب ذكر الكتاب الجميل "مذكرات

---

[1] - نفس المصدر، ص: 39.

عن حياة إليزابيث كيرنس" Elizabeth Cairans (1762). ويبدو في هذا العهد أن عبارة "سيرة ذاتية" قد برزت إلى حيز الوجود. والمثال الأول في معجم أوكسفورد الإنجليزي يرجع تاريخه إلى عام 1809 في مقال لروبرت ساوتي Robert Southey، عن حياة المصور البرتغالي فرنسيسكو فييريرا Francisco Vierira، كتبه بنفسه [1].

أما القرن التاسع عشر، وهو عصر الرومانسية، فقد ازداد فيه عدد السير الذاتية بشكل غير عادي، فنجد فيه ذكريات عن الطفولة في أعمال ألفونس دي لارمارتين Alphonse de Lamartine، و إرنست رينانErnest Renan و جون رسكين John Ruski وغيرهم[2].

السيرة و أشكال أدبية أخرى:

يظهرنا هذا التطور على وجود أشكال أدبية لها صلة بالسيرة، ولذلك يجب أن نميز السيرة الذاتية كشكل أدبي عن تلك الضروب بالكشف عن الذات المرتبطة بها ارتباطا وثيقا، هي كما تقدم، اليوميات diary، والمفكرة اليومية journal، والمذكراتMemories .

واليوميات سجل للتجربة اليومية، والحفاظ على عملية حياة المرء بالذات دون نظر إلى التطور الذي يحاكي نموذجا معينا، والمذكرات تولي اهتماما للأحداث حول الكاتب خارجه أكثر مما تولى للكاتب نفسه، كما في مذكرات (Memories) الرئيس الأمريكي هري ترومان (1955-1956) . والمفكرة

---

[1] -" أدب السيرة الذاتية " للدكتور عبد العزيزشرف، ص: 40-42.
[2] - نفس المرجع، ص:43.

اليومية Journal تركز إلى حد كبير إلى الحياة الداخلية للكاتب، وتستبعد غالبا الأحداث خارج أحلام اليقظة، أو تأملات ذاكرة وخيال المؤلف.

وكل الأشكال المتصلة باليوميات والمفكرة اليومية والسيرة الذاتية يمكن أن تندمج معا، لتحقيق استعراض كامل بصفة خاصة لحياة المرء أو جزء منها. ومن أحسن الأمثلة لمثل هذا الاندماج رواية "بيت الموتى" لفيودور دستو يفسكي الذي هو رواية خاصة شخصية [1].

[1] - نفس المرجع، ص:44.

الفصل الثالث:

السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم والحديث

إن كتابة السيرة في أوربا منذ عصور الظلام في القرون الوسطى، على حين كان هذا الفن يتقدم في الأدب العربي، وأخذت " السيرة " تظهر منذ القرن الثاني للهجرة، ثم أخذت أنواعها تكثر على توالى العصور، حتى بلغت من الكثرة في التراث العربي جدا لم تبلغه في أي تراث لأمة أخرى معروفة في التاريخ في القديم والحديث.

لقد ظلت إنجلترا مثلا- على رسوخ قدمها في فن التراجم- معطلة في هذا الباب عدة قرون إلى أن ظهر صمويل بيبس 1633-1703م فكتب يومياته ومذكراته التي يعدونها أول خطوة في كتابة التراجم الذاتية وما تلاها من أنواع الترجم. وظلت فرنسا كذلك إلى أن ظهر في القرن السابع عشر أيضا المؤرخ ريتز فكتب مذكراته سنة 1672م.

فحين بدأ فن التراجم يظهر في إنجلترا و فرنسا بصورة ساذجة، كانت التراجم العربية الإسلامية قد بلغت حدا من الكثرة والتنوع وسعة المجال والافتنان في موضوعات التراجم لايقاس به بداية غير منتظمة الخطى في الآداب الأوربية. ففي القرن الثاني عشر الميلادي كان كتاب " الاعتبار " للفارس العربي المسلم أسامة بن منقذ 488-584 للهجرة يعد نموذجا عاليا للمذكرات والتراجم الذاتية، قبل أن يكتب بيبيس الإنجليزي وريتز الفرنسي مذكراتهما بقرون. وفي القرن

نفسه كان الشاعر عمرة اليمني يؤلف كتاب " النكت العصرية " و يترجم فيه لنفسه كمايترجم لغيره من الوراء ورجال الحكم في أخريات العصر الفاطمي [1].

ويظهرنا اللغة العربية على مكانة " السيرة " في أدبها، إذ السيرة في أصل اللغة هي الطريقة، أو هي السنة والطريقة والهيئة، كما تقدم. وربما كان أقدم استعمال لكلمة " السيرة " على يد محمد بن إسحاق في كتابه عن حياة الرسول صلى عليه وسلم، ولذلك تعد السيرة النبوية أوسع ما في التراجم الإسلامية، وأقدمها ظهورا.

ومن منهج الحديث الدقيق في " الجرح والتعديل " اكتسبت السيرة في الأدب العربي موضوعية في التنازل والتحقيق، فظهرت تراجم أخرى كطبقات من الرجال تتفق في لون واحد من العلم أو الفن أو الصناعة، كطبقات الصحابة، وطبقات المفسرين وطبقات الشعراء والنحاة وغيرهم. وفي الوقت الذي تقدمت فيه فنون السيرة الغيرية، لم يدع العرب لونا من ألوان التاريخ والتراجم إلا عالجوه على كثرة، لم يفكروا في المذكرات واليوميات الشخصية إلا على حال من الندرة، ولم يفكروا في التراجم الذاتية إلا على حال من القلة القليلة التي لاتتكافأ مع هذا الفيض الزاخر من التراجم والسير [2] .

وتكثر التراجم الأدبية والعلمية بعد القرن السابع الهجري ولاسيما عند العلماء الذين يؤلفون كتب الطبقات، فقد أصبح سنة بينهم أن يترجموا لأنفسهم بجانب ترجماتهم لغيرهم، فانتشرت السيرة الذاتية والسيرة الغيرة جنبا إلى جنب. ومن أشهر من ترجموا لأنفسهم على هذا النحو: محمد بن محمد الجزري المتوفى

---

[1] - " التراجم والسير " للأستاذ محمد عبد الغني حس، ص: 11.
[2] - " أدب السيرة الذاتية" للدكتور عبد العزيزشرف، ص: 48.

833هـ / 1429م، والسيوطي المتوفى سنة 911هـ / 1505م ، ومحمد بن عبد الرحمان السخاوي المتوفى سنة 902هـ / 1496م [1].

إن أول سيرة ذاتية في العصر الحديث هي " كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق" للشيخ أحمد فارس الشدياق، وفيها حديث عن تنقلات الشدياق و بعض أحواله، ولكن هذا كله غارق في غمار الاستطرادات والمترادفات اللغوية، وفي السخرية والمجون، وهما من أبرز خصائص الكتاب، ومما يميز الشدياق رحابة صدره لتلقى المدنية الحديثة، و نظرته إلى المرأة، وسخريته برجال الدين، ونقده لبعض العادات عند الغربيين و الشرقيين على السواء، و لكن غرامه باللغة، وانقياده لطبيعة المقامة و إسرافه في التورية و التلميحات الجنسية، كل هذه تفسد عليه الاسترسال وتعرقل المتعة في السرد.

و إن السيرة الذاتية العربية كتبت في أكثر الأحيان بضمير المتكلم واتبع رشاد رشدي هذا الأسلوب في كتابيه "رحلتي مع الحياة" و " الذاكرة المشومة" وبعض الأحيان كتبت بضمير الغائب كما فعل طـه حسين في كتابه "الأيام" وكما فعل سيد قطب في سيرته الذاتية "طفل من القرية" [2].

و إن السيرة الذاتية ليست ذاتية إلى هذه الدرجة التي قد يتخيلها بعضهم، وبمعنى آخر ليست السيرة الذاتية شخصية فقط يقول جورج جاسدوف: "إن السيرة الذاتية هي المرآة التي يتلقى فيها الفرد مع ذاته". في الحقيقة أنها تحويل مرآة ذاتية تنعكس فيها أحوال كاتب السيرة الذاتية و علاقته و تعامله مع الآخرين ربما من هنا تأتي تلك المتعة الخاصة في قراءة أدب السيرة الذاتية أنها تحويل مرآة تتجلى

---

[1] - نفس المصدر، ص: 55.

[2] - " أدب السيرة الذاتية" للأستاذ عبد العزيزشرف، ص: 79.

فيها أحوال الكاتب مع أحوال الآخرين. كتب إبراهيم عبدالقادر المازني في " قصة حياة" و قال فيها : "ليست قصة حياتي و إن كان فيها كثير من حوادثها، و الأولى أن تعد قصة حياة "، و يعنى ذلك هو يكشف عن ذاته مرآة تتبلور فيها ذوات الآخرين فهو يقول: "أصبحت اعتقد أني استطيع أن أعرف الناس بنفوسهم إذا وسعني أن أكشف لهم عن عيونهم صورة صادقة – لا مزورة ولا مموهة- و من هذا الإنسان الذي هو أنا، والذي هو كل امرئ غيري" [1]. و أن من الحقيقة أن هذه تجربة فريدة في الحياة الشخصية هي ذات قيمة للآخرين أيضا [2].

ويظهرنا التاريخ الحديث على أن المحدثين قد نهجوا نهج قدمائنا في الترجمة لأنفسهم، وقد اطلع من أتقن من اللغات الأجنبية على ما لدى الغرب من ترجمات شخصية، فكان القديم والجديد الغربي باعثا لهم على الترجمة لأنفسهم. ومن أهم من ترجموا لأنفسهم في القرن الماضي: علي مبارك، الذي كتب في مؤلفه " الخطط التوفيقية " سيرة حياته. وقد نشرت بعد هذا مستقلة بعناية الدكتور محمد دري الحكيم من رجال القرن الماضي، وهي سيرة تقع في نحو ستين صفحة، لم فيها لما دقيقا بحياته.

وفي القرن العشرين تكثر الترجمة الذاتية لا في مصر وحدها، بل في بلدان العالم العربي المختلفة. و من أشهر من كتبوا حياتهم " محمد كرد علي" أديب سوريا و عالمها، فقد ترجم لنفسه في نهاية الجزء السادس من كتابه " خطط الشام" المطبوع في دمشق سنة 1927م [3].

---

[1] - " أدب السيرة الذاتية" للدكتور عبد العزيزشرف، ص: 79.

[2] - The Autobiography in Modern Arab Literature and Culture By Thomas Philipp page: 577

[3] - " أدب السيرة الذاتية" للدكتور عبد العزيزشرف، ص:58.

و إن كتاب "الأيام" للدكتور طه حسين في السيرة الذاتية الحديث له مكانة لا تتطاول إليها أي سيرة ذاتية أخرى كما في أدبنا العربي، و خاصة في الجزء الأول منه، لمزايا كثيرة [1].

وتحتل "السيرة الذاتية" مكانها في الفنون الأدبية في هذا العصر، من خلال سيرة طه حسين "الأيام" و "أنا" و " حياة قلم" للعقاد، و "ظهرة العمر" لتوفيق الحكيم، و "حياتي" لأحمد أمين، و "قصة حياتي" لإبراهيم عبدالقادر المازني، و "سبعون" لميخائيل نعيمة، و "قال الراوي" للشاعر المهجري إلياس فرحات، و "قصة حياتي" للدكتور مصطفى الديوان، و "مذكرات طالب بعثة"، و "أوراق العمر" للدكتور لويس عوض، و "في صالون العقاد" و "إلا قليلا" لأنيس منصور، و غيرها من النماذج الأدبية لفن السيرة الذاتية، فنا أدبيا له مقوماته المتميزة بين فنون و يقدم لنا الدكتور شوقي ضيف نموذجا جديدا في أدب السيرة الذاتية بعنوان"معي" يقدم فيه نفسه على مسرح الأحداث أدبيا بحثا عن الحقيقة من خلال رحلة خصبة في الحياة [2].

دور النساء في السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث:

ظهرت السيرة الذاتية النسائية في العصر الحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر، فقد شهد العالم العربي في أواخر القرن التاسع عشر تقدما حضاريا أدى إلى تطور فن السيرة الذاتية النسائية تطورا ملحوظا وهذا الفن هو ظاهرة أدبية ارتبطت بنشوء المدن الكبرى والمتغيرات الحضارية التي ساهمت بشكل فعال في تطوره. ونشأت السيرة الذاتية النسائية بناءا على عدة عوامل ساهمت في ظهورها

---

[1] - " فن السيرة" للدكتور إحسان عباس، ص:131.
[2] - " أدب السيرة الذاتية " للدكتور عبد العزيزشرف، ص: 58-59.

وانتشارها ومن أبرزها وعي المرأة بأهمية حضورها في الخطاب الأدبي الحديث في مقابل هيمنة النظام الذي يعلى إنجاز الرجل و يهمش إنجاز المرأة فضلا عن العوامل الاجتماعية السياسية التي ساعدت على بروز هذا الفن وازدياده.

ويعتبر مطلع الثمانينات بداية مرحلة النضج الفني للسير النسائية العربية، إذ بدأ ظهور نماذج من السير النسائية تنطبق عليها إلى حد كبير شروط السير الذاتية كفن أدبي حديث ظهرت بعد الأعمال التي تتناول جوانب متعددة و شبه كاملة عن كتاباتها كالسيدة فدوي طوقان في سيرتها الذاتية "رحلة جبلية رحلة صعبة" التي صدرت سنة 1985م ، وفيها تروي الشاعرة تفاصيل طفولتها وشبابها و نضوج تجربتها الشعرية فنرى في سيرتها الجرأة والتحدى والكشف عن الذات دون خوف أو خجل وبصورة واضحة بعيدة عن الغموض و التعقيد وهذه المزايا تفتقر إليها الكتابات العربية و خصوصا كتابات المرأة فقد وجدت فدوي طوقان في سيرتها الذاتية فضاءا أدبيا ملائما للتعبير عن الهوية الشخصية فهي تسعى إلى بناء كيان مستقبل مثقل بالآمال و الطموحات تزول أمامه كل مظاهر الدونية والاضطهاد والقمع ففي هذه السيرة نستطيع أن نرى الكثير من المظاهر التي وضحت عنها الكاتبة بصورة جلية و بصدق و شجاعة منها تعودها على الانكفاء عن النفس والغياب في داخل الذات و عاطفتها و الانعزال حتى عن أقرب الناس فهي تقول في سيرتها : "رحت أتحصن بالعزلة، كنت مع العائلة و لكن حضوري كان في الواقع غيابا إلى أبعد حدود الغيابة كان لي عالمي الخاص الذي لا يمكنهم اقتحامه و لقد ظل هذا العالم موحدا أمامهم و لا أسمع لأحد باكتشافه" [1].

---

[1] - " رحلة جبلية رحلة صعبة " لفدوي طوقان، ص: 58.

وفي سيرة فدوي طوقان من البداية إلى النهاية إصرار الكاتبة عزمها من أجل التحرر من قيود العائلة أولا و من ثم قيود المجتمع الذي فرض عليها قوانينه الصارمة، و لكن الشاعرة فدوي طوقان تذكر كل شيئ من دقائق حياتها و تجاربها في صدق و شجاعة " [1].

فتطورت السيرة الذاتية النسائية وظهرت كتب عديدة بعد فدوي طوقان و منها "ما كتبته لطيفة الزيات عن سيرتها الذاتية في كتابين " حملة تفتيش – أوارق شخصية" و في " صاحب البيت" و كذلك كتبت بنت الشاطئ سيرتها بعنوان "على الجسر" فهي تذكر أحوال حياتها بأسلوب بليغ و سهل، و هكذا كتبت نوال السعداوي سيرتها الذاتية بإسم " أوراقي... حياتي" فالكاتبة تقدم أحوال نفسها و ذاكرتها بطريق متميز، و أسلوب عميق، و ذكرنا هؤلاء الأسماء على سبيل المثال لا الحصر، هناك كتب كثيرة مهمة من سير النساء اللآتي كتبن حياتهن بأسلوب رائع و جميل، و ملخص القول إن النساء قد لعبن دورا هاما في تطوير السيرة الذاتية العربية كجنس أدبي في العصر الحديث.

---

[1] - " بين الرواية والسيرة الذاتية " للدكتور جابر عصفور، ص: 89.

الباب الثاني

أحمد أمين: حياته وأعماله

الفصل الأول: مولده ومنشأه

الفصل الثاني: مؤلفاته

الفصل الثالث: إسهاماته في مجال الصحافة والبيان

الفصل الرابع: أحمد أمين مؤرخا

الفصل الأول

مولده ومنشأه

ولد أحمد أمين في الأول من شهر أكتوبر عام 1886م، أى بعد الاحتلال البريطاني لمصر بأربع سنوات وهي فترة مضطربة أشد الاضطراب في التاريخ المصري الحديث واستمر أثرها طويلا في الأحداث التالية لهذا الاحتلال، كما يقول أحمد أمين في كتابه" حياتي": " وكانت ولادتي في السابعة الخامسة صباحا من أول أكتوبرسنة 1886م"[1].

ووالده هو الشيخ إبراهيم الطباخ وفيما بعد فقد ضاعت نسبته إلى الطباخ واشتهر باسمه الأول وهو أحمد أمين فقط. وهو في الأصل من بلدة سخراط وينتمى لأسرة الفلاحين المصريين إلا أن المظالم وظلم تحصيل الضرائب أخرجه هو وأخاه الأكبر من بلدتهما تاركين أطيانها حلا مباحا لمن يستولى عليها ويدفع ضرائبها. وقد سكن الأخوان في بيت صغير في حارة متواضعة في حي المنشئة في القاهرة وهو أكثر أحياء القاهرة عددا وأقلها مالا وأسوأها حالا، وسرعان ما صار الأخ الأكبر صانعا كسوبا ووجه أخاه الأصغر أبو أحمد أمين إلى التعليم في الأزهر حيث تقدم في دراسته الأزهرية وعمل مصححا بالمطبعة الأميرية ببولاق أحيانا ومدرسا في مدرسة حكومية وإمام مسجد، وكان يحب نسخ وجمع الكتب المختلفة من تفسير وفقه وحديث وكتب اللغة والأدب والتاريخ مما كان له أثر كبير في بذور الثقافة الأولى التى تلقاها أحمد أمين وتركت في نفسه أثرا مفعما وعميقا.

---

[1] - " حياتي " لأحمد أمين، ص:20.

وكان بيت أحمد أمين هو أول مدرسة تعلم فيها دروس الحياة، وكان طابع البيت البساطة والنظافة، وكان البيت محكوما بالسلطة الأبوية المطلقة وكان اهتمام الأب بتعليم أبنائه فائقا تشم رائحة الدين في البيت ساطعة زكية، ويربى الأب أبناءه تربية دينية ملتزمة منتظمة فيوقظهم لصلاة الفجر ويراقبهم في أوقات الصلوات الأخرى ويسائلهم متى صلوا وأين صلوا. وكانت الحارة التى نشا فيها هي مدرسته الثانية، كما يقول أحمد أمين في كتابه" حياتي ": " كانت أول مدرسة تعلمت فيها أهم دروسي في الحياة بيتي، وكانت المدرسة الثانية هي" حارتي" فقد لعبت مع أبنائها و تعلمت منهم مبادئ السلوك، وتبادلت معهم عواطف الحب والكره"[1].

دراسته: ذهب أحمد أمين في طفولته المبكرة إلى الكتاب لتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن. ثم خرج أحمد أمين من الكتاتيب الكريهة كما دعاها ذات الأساليب العقيمة إلى المدرسة الابتدائية حيث دخل مدرسة" أم عباس" أو كما تدعى رسميا" والدة عباس باشا الأول" وكانت مدرسته نموذجية بنيت على أحدث طراز وأجمله، حيث ارتدى أحمد أمين بدلة حديثة بدلا من الجلباب وطربوشا عن الطاقية وأحس علو القدر ورفعة منزلته عمن كان يختلط بهم من تلاميذ الكتاب وأبناء الحارة، وكان التعليم في المدرسة يتم وفقا لأحدث الأساليب التربوية آنذاك حيث تعلم فيها الجغرافيا والتاريخ والحساب واللغة الفرنسية، على أنه صرف عن التركيز على دروسه المدرسية بما أعده له أبوه من برنامج غريب ومتناقض محتواه العلوم التقليدية من نحو وصرف وبلاغة....الخ، مبعثه حيرة الوالد في مستقبل ابنه هل يوجه إلى التعليم الديني في الأزهر أم التعليم المدني من ابتدائي إلى ثانوي ثم إلى الجامعة وهو برنامج مرهق صعب التحمل لتناقضه إرهاقه

---

[1] - " حياتي " لأحمد أمين، ص:19-31.

النفس والبدن وعدم القدرة على الجمع بينها،على كل حال يمضي أحمد أمين خمس سنوات حافلة في هذه المدرسة، كما يقول أحمد أمين في كتابه" حياتي":

" على كل حال في هذه الكتاتيب الأربعة نحو خمس سنوات حفظت القرآن وتعلمت القراءة والكتابة"[1].

يستخير الوالد الله سبحانه ويخرجه من المدرسة إلى الأزهر. وهاهو ذا أحمد أمين في الرابعة عشر من عمره يلبس القباء والجبة والعمة والمركوب بدل البدلة والطربوش والجزمة. ويصل إلى الأزهر استعدادا للدرس وطلب العلم.

في الأزهر يتعرف على شخصية المصلح الشيخ محمد عبده رحمه الله ويتأثر بآرائه الإصلاحية ولو أنه حضر دروسه لمدة قصيرة. لم يمكث أحمد أمين في الأزهر سوى سنوات محدودة، هاهو يحاول أن يعثر على وظيفة مدرس بطنطا فيتقدم إليها ويسافر طنطا باكيا شاكيا من فراق بيته وأهله.

أحس أحمد أمين بحاجته الشديدة إلى تعلم لغة أجنبية تكون معينا له على استكمال ثقافته وانفتاحه الحضاري وبناء شخصيته العلمية ولينظر إلى الدنيا بعينين لا بعين واحدة، ابتدأ أحمد أمين تعلم اللغة الإنجليزية وهو شاب في السابعة والعشرين بعد أن جرب حظه في تعلم الفرنسية فأخفق، وابتدأ بالكتب الدراسية في مدرسة برلتز انتهى به المطاف إلى سيدة إنجليزة في الخامسة والخمسين من عمرها تدعى"مس بور" قضى معها بضع سنوات ووجهت كامل عنايتها من الناحية التعليمية ومن الناحية التربوية حيث عنيت بتدريب ذوقه و إحساسه بالجمال والطبيعة من حوله إلا أن هذه السيدة الفاضلة قد أصيب بمرض عقلي رحلت على أثره إلى بلادها وانقطعت علاقته بها منذ ذلك الحين وقد وفق بعد ذلك

---

[1] - المصدر السابق، ص:41.

في معرفة سيدة إنجليزية شابة فكان يعلمها العربية وتعلمه الإنجليزية وتغذى أحاسيسه برقتها وصفائها وطهارتها، واجتاز هذه المرحلة وكما قال بعد أن كان ينظر بعين صار ينظر بعينين، واستفاد من ذلك بسعة الأفق والسياحة الحضارية في الثقافة العالمية وانعكس ذلك وكان أثر ذلك واضحا جليا في أسلوبه المباشر المشرق البسيط.

الأساتذة: قضى أحمد أمين أربع سنوات في الأزهر وقرأ التفسير والحديث والتوحيد على رجال من خير الأزهريين، ومن بين هؤلاء الأساتذة المصريين وغير المصريين كان لهم علم وتجارب في الحياة. ومنهم الشيخ محمد الخضري قرأ عليه أصول الفقه والشيخ محمد مهدي قرأ عليه أدب اللغة العربية، وكان هذا الأدب حديث العهد في مصر، وقرأ الفقه على الشيخ محمد زيد وقرأ الطبيعة على أحمد فهمي العمروسي بك، هو الذي تعلم في سانكلو بفرنسا، كما يقول أحمد أمين في كتابه" حياتي": " وهذا أحمد فهمي العمروسي بك، يدرس لنا الطبيعة، فيشرح لنا النظرية ويطبقها في المعمل ويجعلنا نجرب التجارب، ولايضع في يدنا كتابا، بل يكلفنا أن نرسم الأدوات التي استخدمناها، وهي طريقة كانت شاقة علينا، ولكنها كانت مفيدة لنا- ويخرج من الدرس كثيرا إلى نقد طريقتنا في التعليم وطريقتنا في الحياة ويقارن في ذلك كله بين مصر وفرنسا"[1].

وكذلك قرأ على علي بك فوزي التاريخ- تاريخ اليونان والرومان وتاريخ أوربا الحديث والتاريخ الإسلامي- وكان علي بك فوزي يجيد الإنجليزية والفرنسية والفارسية والتركية، ويلتزم الكلام باللغة العربية الفصحى فلا يلحن، وقرأ على محمد بك زكي الحساب والجبر والهندسة، وقرأ على الشيخ عاطف بك بركات

---

[1]- " حياتي " لأحمد أمين، ص:80.

علم الأخلاق، ويقول أحمد أمين في كتابه: " قضيت زماني في المدرسة جدا لاهزل فيه وتعبا ولاراحة معه، وكانت المدرسة قاسية عنيفة لا ترفيه فيها، فدرس في النهار وتحضير في الليل، حتى أوقات الألعاب الرياضية كنا نؤديها في عنف كأنها أشغال شاقة، فلو طبقت هذه النظم على مدرسة عسكرية لاستجارت منها، ولو طبقت على مدرسة اليوم لقابلها الطلبة كل ساعة بإضراب جديد. وقد صبرت على هذا الدرس فلم استرح نهارا ولا ليلا، ولا جمعة ولا عيدا، حتى ولا في الإجازة الصيفية، إذ كنت أعكف على الكتب التي قررت في المسابقات فأختار منها وأدرس ما اختار لامتحن فيه أول العام"[1].

رحلاته الأدبية:

في سنة 1928م أتيحت لأحمد أمين فرصة السفر في أول مرة خارج مصر و هو مدرس بكلية الآداب ففي يوم استدعاه أستاذه لطفي السيد مدير الجامعة، وقال: إن البرنس يوسف كمال يود البحث في مكاتب الأستانة عن كتب جغرافية قديمة و بخاصة كتاب بطليموس في الجغرافيا، و أنه طلب مني أن أختار له اثنين فوقع اختياري عليك و على الأستاذ عبد الحميد العبادي، كما يقول أحمد أمين عن هذا السفر في كتابه "حياتي" : " و شجعني على القبول أني منذ الصغر أسمع عن استانبول و عظمتها و أبهتها و لها صورة عظيمة فخمة في نفسي، فكل حين يذهب الخديو عباس إلى استانبول و يعود من استانبول، و أعيان مصر يفخرون بسفرهم إلى استانبول، و شوقي في شعره يشيد بذكرها [2].

---

[1]- " حياتي" لأحمد أمين، ص:82.
[2]- المصدر السابق، ص: 164-165.

اعتزم أحمد أمين من يوم أن سافر أن يدون له مذكرات يومية، فكان يسجل قبل أن ينام ما فعله كل يوم مؤرخا بتاريخه. و رأى هناك شخصيات أعجبته و رأى رجلين ألمانيين مستشرقين (هما الأستاذ ريتز و الأستاذ ريشر) يعيشان للكتب العربية و للعلم العربي، لا لذة لهما إلا هذا في الدنيا، صباحهما في المكاتب و مساؤهما على مكتبيهما يقرآن و يصححان. أحدهما يحضر بحثا في المقامات فيجمع المقامات التي كتبت من عهد البديع إلى اليوم، و يصنفها و يتفهمها و يعلق عليها. والثاني مشغوف بكتب المذاهب الدينية[1]. يقول أحمد أمين عن تركيا في كتابه "حياتي" : "وحررت المرأة من حيث سفورها و مساواتها بالرجل، سياسيا واجتماعيا و مدنيا، و فتح لها مجال الكسب و التوظف في الوظائف. ولم يكن السفور بقانون. و إنما كان دعوة دعا إليها مصطفى كمال و ألح فيها، فاستجابت المرأة إليه، أما مساواتها بالرجل اجتماعيا فقد شرعت في القانون المدني، فسوى بينها و بين الرجل في الميراث، واعتبر الزواج شركة تتألف من جزأين متساويين. و أخيرا شرع للمرأة مساواتها بالرجل في الحقوق السياسية، من إعطائها حق أن تنتخب و تنتخب، وعنى بتعليمها، و توسع في ذلك تعليم الذكور.

وغيرت كتابة اللغة التركية من الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية، هذا أهم مظاهر الانقلاب الذي حدث في تركيا.

إن أكبر مظهر للانقلاب التركي هو السفور، وقد أفاد الأمة التركية من حيث إصلاح الزواج، فكل من الزوجين يرى صاحبها و يأنس به قبل عقد الزواج، ثم إن السفور مكن المرأة من معرفة كثير من شؤون الدنيا وكانت تجهلها، والسفور في صالح المرأة، فالحجاب كان يحيط المرأة بهالة تمكن الرجل

---

[1]- المصدر السابق، ص: 168

من الإمعان و التخيلات و الجري وراء التصورات، ولذلك كثر الغزل في الأدب العربي و أمعن الغزلون في التخيلات [1].

في سنة 1930 سافر أحمد أمين إلى الشام في رهط من الطلبة والأساتذة، و عهدت إليه الكلية الإشراف على الرحلة، رأى في هذا السفر مناظر تملأ القلب روعة و هيبة بالمناظر الطبيعية من جبال و وديان، فزار المسجد الأقصى ثم ذهب إلى الناصرة بلد المسيح عليه السلام و كذلك زار المسجد الأموي بدمشق فسحر بعظمته و جلاله، و سعته و جماله. ورأي ضريح شيخ الصوفية محي الدين بن العربي، وقبر صلاح الدين الأيوبي و أستاذه نور الدين محمود زنكي، وقبر أبي العلاء المعرى. ويقول أحمد أمين عن السفر نفسه في كتابه "حياتي" : " والرحلة في نظري لا تكون لها قيمة حقة إلا إذا تفتح القلب لما يرى، وجال في ذلك جولته، مزج الإنسان ما يرى بنفسه" [2].

و في السنة التي تليها رتبت كلية الآداب رحلة على العراق في إجازة نصف السنة اشترك فيها بعض أساتذة الحقوق وكلية الآداب و بعض الطلبة وعهد إليه أيضا الإشراف عليها، و كانت الرحلة أشق و أعنف. ولقي هناك الشاعرين الكبيرين جميل الزهاوي و معروف الرصافي و استمع إلى شعرهما فيما أقيم له من حفلات. و لمس في العراق الانقسام بين الشيعة و السنية، وقد زار النجف و كربلاء وغيرهما، وهي حصون الشيعة، و صادف ذلك أيام العزاء و ذكرى مقتل الإمام علي بن ابي طالب، رأى العامة في كربلاء يضربون صدورهم ضربا شديدا حتى ليدموا أجسامهم حزنا على الإمام. ومنهم من يضربون أنفسهم بالسيوف، ومنهم من يضربون ظهورهم بالسلاسل من حديد والنساء يولولن على

---

[1]- المصدر السابق، ص: 171-172.
[2]- المصدر السابق، ص: 182.

نحو ماكان معروفا من عمل الشيعة في القاهرة إلى عهد قريب. يقول أحمد أمين عن هذه البلاد : "وعدنا إلى مصر سالمين. و قد انطبعت في نفوسنا صور شتى من صور العالم العربي – فلسطين و سوريا والعراق و لبنان – كلها بلاد تتقارب في الحياة الاجتماعية و تقف على درجات من سلم واحد" [1].

وفي سنة 1937م سافر إلى الحجاز للحج مع بعثة الجامعة المصرية [2].

و في سنة 1932م سافر أحمد أمين مع صديقه الدكتور عبدالرزاق السنهوري إلى فرنسا و إنجلترا و مكثا أولا في فرنسا و قضيا هناك عشرة أيام ثم ذهبا إلى إنجلترا و قضيا هناك نحو أربعين يوما.

رأى أهم ما في باريس من جد و لهو و علوم وفنون و أبنية ضخمة و آثار رائعة، ويقول أحمد أمين عن هذا السفر :" وكنت في لندن أشعر ببعض الحرية و بعض الاستقلال، لمعرفتي اللغة الإنجليزية و قدرتي على التفاهم بها، على عكس ما كنت في فرنسا، و أعجبني في فرنسا ذكاء أهلها و نشاطهم وكثرة حركتهم، أعجبني في إنجلترا نظامهم و تعقلهم و ضبط عواطفهم و هدوؤهم في أعمالهم، و أعجبني في هولندا نظافتهم و نجاحهم في الحياة و جدهم و علمهم، وأعجبني في إيطاليا فنهم" [3].

وفي سنة 1938م، سافر إلى إيطاليا و فرنسا مرة أخرى، واتجه إلى بروكسل حيث المؤتمر وكان موضوع محاضرته "أبو حيان التوحيدي وكتابه الإمتاع والموانسة" وحدثت له حادثة طريفة في بروكسل كما يقول أحمد أمين في

---

[1]- المصدر نفسه، ص: 190.
[2]- المصدر السابق، ص: 190.
[3]- المصدر السابق ، ص: 195-197.

كتابه "حياتي" : " فقد ذهبت إلى حلاق لا يعرف كلمة إنجليزية و أنا لا أعرف كلمة فرنسية فكان كلما حدثني بالفرنسية قلت yes و إذا حدثتها بالإنجليزية قال لي Oui و أنا لا أفهم ما يقول، وهولا يفهم ما أقول حتى رأيت آخر الأمر رأسي و ليس بها إلا شعر خفيف جدا قصير جدا و الدنيا برد، و أنا مظطر عند دخول قاعة المؤتمر أن أخلع قبعتي فلا أجد بها شعرا يقاوم بردا و لا يحمل منظرا، و قصصت القصة على زميليي الدكتور طه حسين والدكتور عبدالوهاب عزام فضحكا و أغرقا في الضحك، وقال الدكتور طه : إن سأضع رواية اسمها " حلاق بروكسل" على نمط " حلاق اشبيلية" ونظم الدكتور عزام قصيدة أذكر منها:

ونظر الأستاذ في (المرايه) فلم يجد في رأسه (شعر ايه)" [1].

و في سنة 1947م دعي أحمد أمين للاشتراك في مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن لبحث مشكلة فلسطين، وكان لزيارته لأوروبا ذلك العام أثر كبير في تحديد مشاعره نحو الغرب يقول أحمد أمين: "وأخذت أشك في صحة الاعتقاد بتقدم الغرب على الشرق في مضمار الحضارة، لمست نوعا من الأخلاق والعادات يخالف ما لمسته في بلادنا، وشاهدت منظمات و صناعة وإنتاجا لا عهد لبلادنا به" [2].

ملخص القول إن هذه الأسفار إلى الشرق والغرب جعلت أحمد أمين يكتب كتابا بإسم "الشرق والغرب" و ظهر هذا الكتاب في عام 1955م، و ذكر فيه فصولا عن المدنية الحديثة، مظاهرها و مزاياها و عيوبها، وعن الاستيراد والديمقراطية، والثقافة والحياة الاجتماعية والاقتصادية، والمرأة، والقيم الخلقية،

---

[1]- المصدر السابق، ص: 199.
[2]- "الشرق والغرب" لأحمد أمين، ص: 1.

ومادية الغرب، وروحانية الشرق، و موقف الشرق من الغرب، وهي مسائل تحدث فيها الاستاذ أحمد أمين من قبل في مقالاته الكثيرة.

لقب الدكتوراة:

إن أحمد أمين لم يحصل على شهادة الدكتوراة من أي جامعة من الجامعات، ولكنه منح بشهادة الدكتوراة الفخرية، في سنة 1948م منح مجلس كلية الآداب ومجلس جامعة فؤاد الأول شهادة الدكتوراة الفخرية إلى أحمد أمين فلقب بالدكتور أحمد أمين.

الجوائز:

حصل الدكتور أحمد أمين على جائزة " فؤاد الأول" وهي إحدى الجوائز التي تقدر بألف جنيه مصري وتمنح لمن يتيح أحسن عمل أو نتاج في الآداب و العلوم والقانون، و قد أقيم حفل في يوم 28 فبراير 1948م في قاعة الاحتفالات الكبرى للجامعة وسلم الدكتور فيها الجائزة، وكان نص البراءة الملكية ما يأتي "من فاروق ملك مصر بعناية الله تعالى إلى حضرة صاحب العزة الدكتور أحمد أمين إبراهيم بك العضو بمجمع فؤاد الأول للغة العربية : بناءا على ما أقرته اللجنة الدائمة لجوائز فؤاد الأول للآداب عن سنة 1948م لما امتاز به مؤلفكم "ظهر الإسلام" من دقة البحث [1].

مناصبه:

القضاء والعدل: شغل أحمد أمين وظيفة القاضي مرتين، الأولى سنة 1332هـ/ 1913م في الواحات الخارجية لمدة ثلاثة شهور، أما المرة الثانية فحين تم إقصاؤه

---

[1]- " حياتي " لأحمد أمين، ص: 239.

من مدرسة " القضاء الشرعي" لعدم اتفاقه مع إدارتها، بعد أن تركها أستاذه عاطف بركات، و أمضى في القضاء في تلك الفترة أربع سنوات، عرف عنه فيها التزامه وحبه له، حتى صار يلقب بـ"العدل"، واستفاد من عمله القضاء أنه كان لا يقطع برأي إلا بعد دراسة و تمحيص شديد واستعراض للآراء والحجج المختلفة، ولم تترك نزعة القضاء نفسه طيلة حياته بدءا من نفسه حتى الجامعة.

الجامعة: بدأ اتصال أحمد أمين بالجامعة سنة 1345هـ / 1926م عند ما رشحه الدكتور طه حسين بالتدريس بها في كلية الآداب، و يمكن القول بأن حياته العلمية بالمعنى الصحيح أتت ثمارها وهو في الجامعة، فكانت خطواته الأولى في البحث على المنهج الحديث في موضوع المعاجم اللغوية و كانت تمهيدا لمشروعه البحثي عن الحياة العقلية في الإسلام والتي أخرجت " فجر الإسلام" و "ضحى الإسلام".

تولى في الجامعة تدريس مادة "النقد الأدبي" فكانت محاضراته أولى دروس باللغة العربية لهذه المادة بكلية الآداب ورقي إلى درجة أستاذ مساعد من غير الحصول على الدكتوراة، ثم إلى أستاذ فعميد بكلية الآداب سنة 1358هـ / 1939م ([1])، فكان الرابع لتولي هذا المنصب بعد طه حسين و منصور فهمي و شفيق قربال[2] واستمر في العمادة سنتين استقال بعدهما، لقيام الدكتور محمد حسن هيكل وزير المعارف بنقل عدد من مدرسي كلية الآداب إلى الإسكندرية من غير أن يكون لأحمد أمين علم بشيئ من ذلك، فقدم استقالته و عاد إلى عمله كأستاذ، و هو يتردد مقولته المشهورة: "أن أصغر من أستاذ و أكبر من عميد".

---

[1]- " المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين" لأعضاء ملتقى أهل الحديث، ص:4.

[2]- " أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث" لصلاح زكي أحمد، ص: 122.

وفي الجامعة تصدع ما بينه بين طه حسين من وشائج المودة، إذ كان لطه حسين تزكيات خاصة لايراها أحمد أمين صائبة التقدير، وتكرر الخلاف أكثرمن مرة فاتسعت شقة النفور، وقال عنه طه حسين:" كان يريد أن يغير الدنيا من حوله وليس تغيير الدنيا ميسرا للجميع". وقد عد فترة العمادة فترة إجداب فكري وقحط تأليفي، لأنها صرفته عن بحوثه في الحياة العقلية[1].

الجامعة الشعبية: وفي سنة 1365هـ / 1945م، انتدب للعمل مديرا للإمارة الثقافية بوزارة المعارف، وهي إدراة تعمل دون خطة مرسومة واضحة، فليس لها أول يعرف ولا آخر يوصف تساعد الجاد على العمل، والكسول على الكسل، وفي توليه لهذه الإدارة جاءت فكرة" الجامعة الشعبية" حيث رأى أن للشعب حقا في التعليم والارتواء العلمي، وكان يعتز بهذه الجامعة اعتزازا كبيرا، ويطلق عليها " ابنتي العزيزة" وهي التي تطورت فيما بعد إلى ما سمي بقصور الثقافة، وكان آخر المناصب التي شغلها بعد إحالته إلى التقاعد منصب مدير الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية[2].

لجنة التأليف والترجمة والنشر: أشرف أحمد أمين على " لجنة التأليف والترجمة والنشر" مدة أربعين سنة منذ إنشائها حتى وفاته، وكان لهذه اللجنة أثر بالغ في الثقافة العربية إذ قدمت للقارئ العربي ذخائر الفكر الأوربي في كل فرع من فروع المعرفة تقديما أمينا يبتعد عن الاتجار، كما قدمت ذخائر التراث العربي مشروحة مضبوطة، فقدمت أكثر من 200 كتاب مطبوع.

---

[1]- " المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين" لأعضاء ملتقى أهل الحديث، ص:4.
[2]- نفس المرجع، ص:4.

وكانت الثقة في مطبوعات اللجنة كبيرة جدا، لذلك رزقت مؤلفات اللجنة حظا كبيرا من الذيوع وتخطفتها الأيدي والعقول، كما أنشأت هذه اللجنة مجلة" الثقافة" في ذى الحجة 1357هـ / 1939م ورأس تحريرها، واستمرت في الصدور أربعة عشر عاما متواليا،وكان يكتب فيها مقالا أسبوعيا في مختلف مناحى الحياة الأدبية والاجتماعية، وكانت ثمرة هذه الكتابات كتابه الرائع " فيض الخاطر" بأجزائه العشرة.

وامتازت مجلة الثقافة بعرضها للتيارات والمذاهب السياسية الحديثة، وتشجيعها للتيار الاجتماعي في الأدب وفن الرواية والمسرحية، وعنيت المجلة بالتأصيل والتنظير[1].

المجامع اللغوية: وقد أصبح عضوا بمجمع اللغة العربية سنة 1359هـ / 1940م بمقتضى مرسوم ملكي، وقد كان اختير قبل ذلك عضوا مراسلا في المجمع العربي بدمشق منذ 1345هـ / 1926م، وفي المجمع العلمي العراقي، و بعضويته في هذه المجامع الثلاثة ظهرت كفايته و قدرته على المشاركة في خدمة اللغة العربية.

وكان رأيه أن المجمع ليست وظيفته الاساسية وضع المصطلحات و إنما عمله الأساسي هو وضع المعجم اللغوي التاريخي الأدبي الكبير، و يضاف هذا الإسهام الكبير في مجمع اللغة العربية إلى رصيده في خدمة الثقافة، كما اختير عضوا في المجلس الأعلى لدار الكتب سنة 1358هـ / 1939م [2].

---

[1]- " المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين" لأعضاء ملتقى أهل الحديث، ص:4.
[2]- نفس المرجع، ص:5.

إن هذه المناصب قد ضيعت أوقات أحمد أمين و صرفته عن القراءة والكتابة و البحث والتحقيق أكثر مما يريد، كما يقول الدكتور أحمد أمين عن هذه المناصب: " وكنت في بدء حياتي العملية كثير الفراغ، أصرفه في القراءة والكتابة فألفت "فجر الإسلام و ضحاه" ثم قل فراغي باشتغالي بكثير المجالس واللجان، فأنا عضو في المجمع اللغوي وفي مجلس دارالكتب و مجلس كلية الآداب و دار العلوم ورئيس لجنة التأليف والجامعة الشعبية الخ، و مذيع في راديو، و كل هذه أكلت وقتي، بعثرت زمني، ووزعت جهدي مع قلة فائدتها فيما اعتقد. و لو استقبلت من أمري ما استدبرت لرفضت كل هذه الأمور و نحوها وفرغت لإتمام سلسلة فجر الإسلام و ضحاه وظهره وعصره، فقد كان ذلك أجدى و أنفع و أخلد، ولكن للظروف أحكام [1].

وفاته:

وقد أصيب أحمد أمين قبل وفاته بمرض في عينه ثم بمرض في ساقه فكان لا يخرج من منزله إلا لضرورة قصوى، ورغم ذلك لم ينقطع عن التأليف و البحث حتى توفاه الله في 27 من رمضان 1375هـ / 30 من مايو 1954م، فبكاه الكثيرون ممن يعرفون قدره.

ولعل كلمته : "أريد أن أعمل لا أن أسيطر" مفتاح هام في فهم هذه الشخصية الكبيرة [2].

---

[1]- " حياتي " لأحمد أمين، ص: 248.

[2]- " المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين" لأعضاء ملتقى أهل الحديث، ص:6.

الفصل الثاني

تعريف بمؤلفاته

أولا: مؤلفاته

1- فجر الإسلام، (الناشر مكتبة النهضة).
2- ضحى الإسلام، (3أجزاء)، (الناشر مكتبة النهضة).
3- ظهر الإسلام، (4 أجزاء)، (الناشر مكتبة النهضة).
4- يوم الإسلام، (الناشر مكتبة النهضة).
5- حي بن يقظان، (الناشر دار المعارف).
6- قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، (مكتبة النهضة).
7- زعماء الإصلاح في العصر الحديث، (الناشر مكتبة النهضة).
8- الأخلاق، (الناشر لجنة التأليف).
9- حياتي (سيرته الذاتية)، (الناشر مكتبة الآداب).

كتب باشتراك:

17- قصة الفلسفة اليونانية (مع الدكتور زكي نجيب محمود)، الناشر لجنة التأليف).

18- قصة الفلسفة الحديثة (مع الدكتورزكي نجيب محمود)، الناشر مكتبة النهضة).

19- قصة الأدب في العالم (4 أجزاء)، (مع الدكتور زكي نجيب محمود)، (الناشر مكتبة النهضة).

كتب اشترك في تحقيقها:

20- الإمتاع والمؤانسة

21- ديوان الحماسة

22- العقد الفريد

23- الهوامل والشوامل

24- خريدة القصر وجريدة العصر

كتب مدرسية:

25- المنتخب في الأدب العربي

26- المفصل في الأدب العربي

27- المطالعة التوجيهية

28- تاريخ الأدب العربي

كتب مترجمة:

29- مبادئ الفلسفة، (الناشر لجنة التأليف) [1].

---

[1]- " أحمد أمين- مؤرخ الفكر الإسلامي" للدكتور محمد رجب البيومي، ص: 47-49.

حديث موجز عن أشهر مؤلفاته:

1- فجر الإسلام

2- ضحى الإسلام (3 أجزاء)

3- ظهر الإسلام (4 أجزاء)

قامت شهرة الأستاذ أحمد أمين الحقيقية على ما كتبه للحياة العقلية في الإسلام في سلسلته عن فجر الإسلام وضحاه وظهره، لأنه فاجأ الناس بجديد في منهج البحث، وفي أسلوبه ونتائجه، فأبدى وجها للكتابة التحليلية لعقل الأمة الإسلامية لم يبد أحد من قبل على هذا النحو، لذلك صارت هذه السلسلة عماد كل باحث أتى من بعده[1]. هذه الكتب الثلاثة التي قد ملئت مكانا كان فراغا واشتهرت في العالم كله ولذلك توجد هذه الكتب في جميع مكتبات الجامعات الكبرى التي تدرس فيها اللغة العربية وآدابها، وساتحدث- إن شاء الله- عن هذه الكتب الثلاثة بالتفصيل في الفصل الرابع.

4- زعماء الإصلاح في العصر الحديث:

اشتهر هذا الكتاب اشتهارا ذائعا، لأنه قرر على طلاب المدارس عدة سنوات، فكثرت طبعاته، وتداولتها الأيدي على نطاق واسع، وكان ذلك من حظ القارئ قبل أن يكون من حظ المؤلف، لأن ما تضمنه الكتاب من نظرات سياسية وتاريخية ودينية سيقت مساقا عذبا مطردا، قد جعله كتاب تربية وتعليم،يرسم المثل، ويهدد النهج، قبل أن يكون تاريخا لزعماء

---

[1]- " أحمد أمين- مؤرخ الفكر الإسلامي" للدكتور محمد رجب البيومي، ص:51.

الإصلاح [1]، وقد حدد المؤلف هدفه في المقدمة القصيرة التي صدر بها الكتاب إذ قال فيها: " وقد رجوت منه أن يكون فيما يصور من حياة المصلحين ونوع إصلاحهم باعثا للشباب،تستثير هممهم، فيحتذون حذو أولئك المصلحين، ويهتدون بهديهم،وينهضون بأممهم، والله يوفقهم"[2].

هذا الكتاب يتضمن سيرة عشرة من المصلحين المحدثين، في الأقطار الإسلامية المختلفة، وهي كما يلي:

1- محمد بن عبد الوهاب (1703-1791م)

2- مدحت باشا (التركي) (1822-1883م)

3- السيد جمال الدين الأفغاني (1839-1897م)

4- السيد أحمد خان (1817-1898م)

5- السيد أمير علي ( )

6- خير الدين باشا التونسي (نحو1810-1879م)

7- علي باشا مبارك (1823-1893م)

8- عبد الله نديم (1845-1896م)

9- السيد عبد الرحمن الكواكبي (1848-1902م)

10- الشيخ محمد عبده (1849-1905م)[3].

---

[1]- المرجع السابق، ص: 76.

[2]- " زعماء الإصلاح في العصر الحديث" لأحمد أمين، ص: 2.

[3]- المرجع السابق، ص: 10-338.

5- فيض الخاطر:

هذا الكتاب يشتمل على عشرة أجزاء، وهو مجموع مقالاته الأدبية والاجتماعية. وساتحدث عن هذا الكتاب بالتفصيل في الفصل الثالث كأحمد أمين في مجال الصحافة.

6- حياتي:

هذا الكتات مشتمل على سيرة أحمد أمين الذاتية. ظهر قبل وفاته بأربع سنوات، ويعتبر من أمتع كتب السيرة الذاتية الحديثة من حيث الأسلوب والفن. وساتحدث عن الكتاب بالتفصيل في الباب الثالث كما اخترت موضوع بحثي" أحمد أمين خلال سيرته الذاتية "حياتي" دراسة تحليلية".

7- يوم الإسلام:

يتحدث أحمد أمين عن هذا الكتاب بما يغنى عن كل قول حيث يقول: " هذا الكتاب: أردت فيه أن أبين أصول الإسلام، وما حدث له من أحداث، أفادته أحيانا، وأضرته أحيانا، وأبين كيف كان يعامل غيره من أهل الأديان أيام عزه وسطوته، وكيف يعامله غيره أيام ضعفه ومحنته، فكان من ذلك هذا الكتاب، وأهم غرض منه شيئان:

الأول: أن نتبين منه الإسلام في جوهره وأصوله، وكيف كان؟

الثاني: أن كثيرا من زعماء الإسلام أتعبوا أنفسهم في بيان ضعف المسلمين، فرأيت أن خير وسيلة لمعرفة أسباب هذا الضعف، الرجوع إلى

التاريخ كله، فهو الذي يبين لنا ما حدث مما سبب ضعفه، وبذلك نقف على الأسباب الحقيقية حتى يمكن من يريد الإصلاح أن يعرف كيف يصلح"[1].

8- قاموس العادات والتقاليد المصرية:

ذكر أحد أمين في هذا الكتاب عن السحرة والشعوذة والسقائين والمرأة والأحلام والأولياء والنذور والتجار والصناع، له صلة وثيقة بما كتبه الأستاذ (لين) مع اختلاف الطريقة في الرصد والتبويب، وانتفع أحمد أمين انتفاعا ملموسا بما ذكره المستشرق الإنكليزي الأستاذ (إدوار وليام لين) في كتابه (المصريون المحدثون، عاداتهم وشمائلهم).

في هذا الكتاب توجد سلامة وعذوبة حتى ينسى القارئ أنه يقرأ، ويتخيل أنه يستمع في مجلس أنس. إن الأستاذ أحمد أمين كان مثل عتيد كاتب السيئات في أكثر أحواله، ولم يكن كرقيب كاتب الحسنات، إذ من العادات المصرية حينئذ ما كان يحمد مثل صلة الأرحام، والعطف على الفقير، وبناء المساجد و الأسبلة، وتشجيع الكتاتيب التي تعمل على حفظ القرآن، والتكافل التام، عند وقوع الدواهي مثل الحرائق والسيول، وكثير من هذه المحامد التي يجب أن تسجل جوار هذه النقائص، وقد أشار الأستاذ إلى بعضها باقتضاب، ولكنه لم يبلغ في ذلك مبلغ الإنصاف المنتظر.....

والكتاب – بعد ذلك كله- سجل حافل بالأحوال الاجتماعية والتقاليد الشعبية في مدى عصر ممتد كاد أن يرحل ليعقبه صبح جديد[2].

---

[1]- مقدمة " يوم الإسلام " لأحمد أمين، ص: 5-6.

[2]- " أحمد أمين- مؤرخ الفكر الإسلامي" للدكتور محمد رجب البيومي، ص:121-124.

9- النقد الأدبي:

نشر هذا الكتاب بعد تأليفه بربع قرن، إذ بدأ المؤلف إملاءه على الطلاب من سنة 1926م، ثم رأى أن يخرج إلى النور سنة 1951م، وفي هذا الأمد ظهرت كتب جامعية تتحدث عن موضوعات النقد الأدبي راجعة إلى مسودات المؤلف.

وإذا كان كتاب النقد في جزأين، يتحدث أولهما عن قضايا النقد ومشكلاته، ويتحدث الثاني عن تاريخ النقد غربا وشرقا من خلال أبطاله [1].

10- الشرق والغرب:

ذكر المؤلف فيه فصولا عن المدنية الحديثة، مظاهرها ومزاياها وعيوبها، وعن الاستيراد والديمقراطية، والثقافة، والحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية، والفرد والأسرة، والمرأة والتقليد والابتكار، والقيم الأخلاقية، وروحانية الشرق، وموقف الشرق من الغرب، وهي مسائل يتحدث فيها الأستاذ من قبل في مقالاته الكثيرة، ولكنه شاء أن يجعل كتابه الأخير خلاصة لما انتهى إليه بعد أن شاهد بالعيان، ما وعاه بالقراءة والاطلاع [2].

---

[1]- المرجع السابق، ص: 124-125.

[2]- " أحمد أمين- مؤرخ الفكر الإسلامي" للدكتور محمد رجب البيومي، ص:138-139.

الفصل الثالث

إسهامات أحمد أمين في مجال الصحافة والبيان

هذه حقيقة ناصعة بأن أحمد أمين قد لعب دورا مرموقا في مجال الصحافة العربية، كما ظهر كتابه " فيض الخاطر " المشتمل على عشرة أجزاء، وهو مجموع مقالاته الأدبية والاجتماعية وبلغ عدد مقالاته قرابة 900 مقالة.

ظهرت مجلة (الرسالة) سنة 1933م، وكان الأستاذ من كبار محرريها فجعل ينشر في أكثر أعدادها مقالات شتى، وذاعت شهرته كاتبا اجتماعيا، وأديبا محللا، وكذلك كتب في الصحف الأخرى ومجلات شهرية أسبوعية.

وأنشأ مجلة(الثقافة) بعد صدور (الرسالة) بستة أعوام، وقام على تحريرها، فتقاضاه ذلك أن يكتب مقالا أسبوعيا دائما، لم ينقطع عنه إلا نادرا، وبذلك توالت مقالاته الخصيبة الممتعة على مدى أربعة عشر عاما، كما ينهمر الغيث دفاقا مسكوبا في كل مرج خصيب.

وقد ظهر الجزء الأول من " فيض الخاطر " قبل أن تظهر مجلة "الثقافة" ثم توالت أجزاء مثمرة كونت عشرة مجلدات من فيض الخاطر، وبلغت مقالاتها نحو تسعمئة مقالة، فأحدثت صدى طيبا بين القراء، وكان المثقفون يرتقبون مقالة الأستاذ كل أسبوع، وزملاؤه من أصحاب الصحف الأدبية لم يبلغوا مبلغه في هذا الحشد العامر من المقالات [1].

---

[1]- " أحمد أمين- مؤرخ الفكر الإسلامي" للدكتور محمد رجب البيومي، ص:93.

وقد تحدث الأستاذ في مقدمة الجزء الأول من (فيض الخاطر) عن منحاه المقالي، وذلك قبل أن تصدر مجلة (الثقافة) فقال:

" هذه مقالات نشر بعضها في مجلة (الرسالة) وبعضها في مجلة (الهلال) وبعضها لم ينشر في هذه ولا تلك، استحسنت أن أجمعها في كتاب، لا لأنها بدائع وروائع، ولا لأن الناس ألحوا علي في جمعها، فنزلت على حكمهم، وائتمرت بأمرهم، ولا لأنها ستفتح في الأدب فتحا جديدا، لاعهد للناس به، ولكن لأنها قطع من نفسى أحرص عليها حرصي على الحياة، واجتهد في تسجيلها إجابة لغريزة حب البقاء، وهي مجموعة أولى منها مفرقة، وفي كتاب واحد أبين منها في أعداد، ثم لعلي أقع على قراء مزاجهم من طبيعة مزاجي، وعقلياتهم من جنس عقلي، يجدون فيها صورة من نفوسهم، وضربا من ضروب تفكيرهم، فيشعرون بشيئ من الفائدة في قراءتها، واللذة في مطالعتها، فيزيدني ذلك غبطة، ويملؤنى سرورا، وأصدق كاتب في نظرى من احتفظ بشخصيته، وجعل أفكاره وعواطفه تمتزج امتزاجا تاما بأسلوبه، وخير أسلوب عندي ما أدى أكثر معانيه وعواطفه في أقل ما يمكن، من غير عسر وغموض، وراعك بجمال معانيه أكثر مما شغلك بزينة لفظه، وكان كالغانية تستغنى لطبيعة جمالها عن كثرة حليها، ولم يكن لى شرف إدراك هذه الغاية، ولكن كان لى شرف السير في سبيلها"[1].

هذه هي مقدمة موجزة، ولكنها كانت صادقة كل الصدق، صادقة عن الناحية النفسية، ومن الناحية الأدبية فمن الناحية النفسية تحدث الأستاذ عما يخالج كل إنسان من حبه لآثاره، وحرصه على جمعها لتكون باقية

---

[1]- مقدمة " فيض الخاطر " لأحمد أمين، ج/1.

ذائعة، كما أنه صدق نفسه، وصدق الناس حين ذكر أن أحدا لم يشر عليه بجمعها، وضرورة ذيوعها في جزء خاص، والأستاذ بذلك ينقد من يتورطون في مقدماتهم المملة، فيذكرون أنهم لم يكونوا ليرغبوا في جمع آثارهم لولا إلحاح القراء، ومواصلة الرغبة الملحة في جمع ما كتبوه.

ونحن نقرأ هذا الكلام فنبتسم، لأن القراء بعد مطالعتهم ما نشر في الصحف والمجلات أحد فريقين، فريق اهتم بما قرأ، فحرص على حفظه وصيانته في مكتبته وفريق لم يهتم بشيئ، فترك المجلة في خصم الزمن، ولا يعنى الفريقين معا أن تنشر المقالات مجموعة أو متفرقة! وقد عرف الأستاذ هذه الحقيقة فعبر عنها أصدق تعبير.

أما صدقها من الناحية الأدبية فقد اعترف الأستاذ أنه كاتب أفكار، وليس صاحب ديباجة بيانية تحتفل بالتعبير المؤنق، وبالموسيقى، وبالصور الجمالية، وهذا حق، ولا يؤخذ من ذلك أن أصحاب البيان الأدبي المؤنق، والتعبير التصويري الرائع أقل من ذوى الأفكار المتتابعة في نسق فكري مطرد، فللبيان الآسر زينته وإشعاعه، وكل ميسر لما خلق له.

واحتفال الكاتب بمعانيه لم يحل دون الاهتمام بوضوح العبارة، وجودة التركيب، بل لم يحل في كثير من الأحيان من الارتفاع إلى المستوى الأدبي الرفيع إذا صفت قريحة الأستاذ في أوقات الصفاء، فحلقت مع الشعراء في آفاقهم، وأظهر ما يبدو ذلك في وصفه لمظاهر الطبيعة من بحر وشجر وزهر وعطر، فله في ذلك من البدائع ما يجب أن يذكر دون جحود [1].

---

[1]- " أحمد أمين- مؤرخ الفكر الإسلامي" للدكتور محمد رجب البيومي، ص:94-95.

وقد دفع بعض الباحثين إلى عده عالما لا أديبا، وذلك إجحاف أي إجحاف، فللأستاذ في دنيا الأدب الخالص جهد طيب عرفه المصنفون فاحتفلوا به معجبين، وقد قال الدكتور طه حسين في تحليله لكتاب (فيض الخاطر) بعد أن أشار إلى هذه المقدمة، و وقف عندها طويلا:

" وأخرى في هذه المقدمة وهي مذهبه الفني، فهو من أصحاب المعاني لا من أصحاب الألفاظ، وهو يؤثر الإيجاز، و يكره الإطناب، و هو يؤثر القصد، و يكره الزينة، و كل هذا حسن، وكل هذا يقبل من الأستاذ حين يقوله، لأنه يقوله صادقا فيه مؤمنا به، ولكن دع المقدمة، وامض في قراءة الكتاب، فسترى فيه فصولا تروع بألفاظها أكثر مما تروع بمعانيها، وسترى فيه فصولا تعجب بإطنابها أكثر مما تعجب بإيجازها، وسترى فيه فصولا تروق بزينتها أكثر مما تروق بإيثارها القصد، واكتفائها بلبسة المتفضل، والأستاذ صادق مخلص حين كتب هذه الفصول، التي تروع باللفظ لا بالمعنى، وتعجب بالإطناب لا بالإيجاز، وتروق بالزينة لا بالقصد، وهو متناقض لنفسه في هذا المذهب الفني الذى صوره وقضى به على نفسه، ولكنه أديب وليس على الأديب بأس من هذا التناقض، فهو لا يتناقض في لحظة واحدة ولكن ما يكتبه من الآثار يمثل لحظات مختلفة من حياته فيظهر مختلفا متباينا"[1].

والكاتب الكبير يعرف سمات الباحث وخصائص الأديب، ونتاجه الفسيح يدل على أنه باحث وأديب معا، وقد كتب موضوعا صادقا تحت عنوان (كتابة المقالات) ظاهره أنه حديث عام، وباطنه أنه تعبير عن شعور

---

[1]- " المرجع نفسه، ص:96.

خالص يتلبس نفسية أحمد أمين، ويملك إحساسه، بل يصدر عنه فيما خطه من مقالات وبحوث، يقول أحمد أمين:

" هناك أنواع من المقالات يصح أن نسميها مقالات علمية بالمعنى الواسع فتشمل المقالات الاجتماعية، كما تشمل بحث مسألة أدبية بحثا علميا، وهذا النوع سهل على الكاتب متى تسيرت أدوات البحث، من كتب و مراجع ونحوها، وتوفر له حسن الاستعداد من معرفة بمناهج البحث وأساليبه، فكل وقت صالح لكتابة هذه المقالات، وإعدادها، ما لم يكن الكاتب في حالة استثنائية من مرض و نحوه"[1].

ثم يقول الأستاذ: " وهناك نوع من المقالات الأدبية بالمعنى الخاص، وأعنى بها الأدبية أدبا إنشائيا صرفا، لا أدب بحث ودرس، وهذا أصعب من الأولى، حيث إنها تتطلب مع حسن الاستعداد المزاج الملائم، فليس الكاتب في كل وقت صالحا لها، بل لا بد أن يكون مزاجه ملائما للموضوع الذى من هذا القبيل، ولذلك قد تمر على الكاتب الأديب أوقات وخلع ضرسه أهون عليه من كتابة مقال، وهو إذا حاول ذلك فكانما يمتح من بئر، أو ينحت من صخر. ذلك لأن المقالات الأدبية لا بد أن تنبع من عاطفة فياضة وشعور قوي، فإذا لم يتوفر ذلك عند الكاتب خرجت المقالة فاترة باردة لايشعر فيها القارئ بروح، ولا يحس منها حرارة وقوة"[2].

ولذلك نجده يعالج بحوثا أدبية واجتماعية في أكثر هذه المقالات.

---

[1]- " فيض الخاطر" لأحمد أمين، ص: 178/1.

[2]- " أحمد أمين- مؤرخ الفكر الإسلامي" للدكتور محمد رجب البيومي، ص:989-99.

وإذا نظرنا إلى مقالات (فيض الخاطر) بأجزائه العشرة نجدها أكثر سعة وشمولا من مجموعات مماثلة للرافعي والبشري والزيات والمنفلوطي، لأن أحمد أمين كان يعبر عن كل خاطر يسنح له، علميا كان أو وجدانيا، وعدم اهتمامه بأناقة الأسلوب التعبيري كان سبب هذا الفيض الزاخر.

إن العلامات البارزة في هذه الموسوعة الراقية فكرا وتعبيرا وتصويرا وهي كما يلي:

1- الحوار الفكري الذى امتاز به الكاتب الكبير وترقرق في صفحات الفيض.

2- النظرات الأدبية التحليلية لمشكلات معقدة.

3- الإمعان في وصف بعض مظاهر الطبيعة الخالبة[1].

إن كثيرا من مقالات (فيض الخاطر) قد ترك صدى رنانا بين الباحثين، حيث دارت حوله معارك أدبية أورثت الجو الفكري نشاطا حيا.

أسلوبه:

وقد امتازت كتاباته بدقة التعبير وعمق التحليل والنفاذ إلى الظواهر و تعليلها، والعرض الشائق مع ميله إلى سهولة في اللفظ وبعد عن التعقيد والغموض، فألف حوالى 16 كتابا، كما شارك مع آخرين في تأليف وتحقيق عدد من الكتب الأخرى، وترجم كتابا في مبادى الفلسفة.

وقد قال الدكتور طه حسين في تحليله لكتاب (فيض الخاطر) بعد أن أشار إلى هذه المقدمة، و وقف عندها طويلا:

---

[1]- المرجع السابق، ص: 101.

" وأخرى في هذه المقدمة وهي مذهبه الفني، فهو من أصحاب المعاني لا من أصحاب الألفاظ، وهو يؤثر الإيجاز، و يكره الإطناب، و هو يؤثر القصد، و يكره الزينة، و كل هذا حسن، وكل هذا يقبل من الأستاذ حين يقوله، لأنه يقوله صادقا فيه مؤمنا به، ولكن دع المقدمة، وامض في قراءة الكتاب، فسترى فيه فصولا تروع بألفاظها أكثر مما تروع بمعانيها، وسترى فيه فصولا تعجب بإطنابها أكثر مما تعجب بإيجازها، وسترى فيه فصولا تروق بزينتها أكثر مما تروق بإيثارها القصد، واكتفائها بلبسة المتفضل، والأستاذ صادق مخلص حين كتب هذه الفصول، التي تروع باللفظ لا بالمعنى، وتعجب بالإطناب لا بالإيجاز، وتروق بالزينة لا بالقصد، وهو متناقض لنفسه في هذا المذهب الفني الذى صوره وقضى به على نفسه، ولكنه أديب وليس على الأديب بأس من هذا التناقض، فهو لا يتناقض في لحظة واحدة ولكن ما يكتبه من الآثار يمثل لحظات مختلفة من حياته فيظهر مختلفا متباينا"[1].

ويقول الدكتور زكي مبارك: " يجب الاعتراف بأن لأحمد أمين أسلوبا، وبأن لهذا الأسلوب شخصية تتميز بالسهولة والوضوح، وبأن في كتابه (فيض الخاطر) مقالات من الأدب الذاتي، وهو الأدب الذى يصور الكاتب وإحساساته، ثم رجا طلاب السنة التوجيهية أن يفطنوا وهم يقرؤون كتاب (فيض الخاطر) إلى أن المؤلف أديب، يصور لواعج نفسه"[2].

ويقول الدكتور محمد رجب البيومي في كتابه: " وإذا نظرنا إلى مقالات (فيض الخاطر) بأجزائه العشرة نجدها أكثر سعة وشمولا من

---

[1]- " فصول في الأدب والنقد" لطه حسين، ص: 18.

[2]- " أحمد أمين- مؤرخ الفكر الإسلامي" للدكتور محمد رجب البيومي، ص:100.

مجموعات مماثلة للرافعي والبشري والزيات والمنفلوطي، لأن أحمد أمين كان يعبر عن كل خاطر يسنح له، علميا كان أو وجدانيا، وعدم اهتمامه بأناقة الأسلوب التعبيري كان سبب هذا الفيض الزاخر.

إن العلامات البارزة في هذه الموسوعة الراقية فكرا وتعبيرا وتصويرا وهي كما يلي:

1- الحوار الفكري الذى امتاز به الكاتب الكبير وترقرق في صفحات الفيض.

2- النظرات الأدبية التحليلية لمشكلات معقدة.

3- الإمعان في وصف بعض مظاهر الطبيعة الخالبة. هذا غير نزعاته الإصلاحية في مضماري التجديد الإسلامي، والإصلاح الاجتماعي، وكل علامة من العلامات جديرة بالوقوف الوئيد[1].

ويقول صلاح زكي أحمد في كتابه: " كان همه في الكتابة أن يقرر و يقنع، لا أن يؤثر و يمتع، ولعل منشأ ذلك فيه أن عقله كان أخصب من خياله وأن علمه كان أكبر من فنه، وأن حبه للحرية والصراحة كان يجب إليه إرسال النفس على سجيتها من غير تقييدها بأسلوب معين، وعرض الفكرة على حقيقتها من غير تمويهها بوشي خاص، ومع ذلك كان لأسلوبه طابعه المميز و جاذبيته القوية"[2].

---

[1]- " أحمد أمين- مؤرخ الفكر الإسلامي" للدكتور محمد رجب البيومي، ص:101.

[2]- " أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث" لصلاح زكي أحمد، ص:118.

مناهج الفكر عند أحمد أمين:

إن أحمد أمين كان بناءا لهذه الكلمة من معان، فقد ملكت هواه هذه النزعة دون سواها، ونعنى بها نزعة البناء والتشييد، فوقف عليها فكره وجهده، فهو بناء من نوع خاص وصفه الكاتب والأديب الكبير محمود تيمور بأنه اجتماعي عصره و واقعي عملي، إذ عنت له فكرة رسمها في ذهنه أدق رسم، وجعل لها خطة محكمة وقدر لها كل ما عساه يكون من الأقدار، ولا يكاد يمد يده ليضع الحجر الأساس لهذه الفكرة، حتى يكون قد استوثق من الأمر غاية الاستيثاق، وأحاطه بما يكفل له الرسوخ والشموخ، فإذا بالبيان تعلو دعائمه، وإذا هو حصن للقرائح والعقول.

وعبقرية هذا" البناء " العظيم تتمثل في أنه يجعل لنزعته طابعا من التجديد، لا مغالات فيه ولا انسلاخ، فهو إذا شيد التمس لأساس بنيانه عتادا من كنوز الشرق وأمجاده، ولكنه يقيم على هذا الأساس طرازا تتوافر له كل مزايا التحضر العصرى والعمران الحديث[1].

وهذا" البنيان " العظيم يرمى دائما من وراء سعيه إلى هدف مقصود، ذلك أن له رسالة إصلاحية واضحة، يبتغى بها تجديد العقلية العربية وإمدادها بما يعنيها على ملاحقة الزمان في سيرة الحثيث.

فحول محور هذه الرسالة الإصلاحية يدور فكر أحمد أمين، ولا يمل أن يدور، وكأن هذا المحور مغزل يستمد منه الخيوط لينسج فيها أعماله ومساعيه ونفحات قلمه.

لقد عاش أحمد أمين حياته للفكر الخالص يوجه أبناء الأمة نحو الخير والعلم، فكان من كبار مفكري الشرق ومفكري الإسلام على وجه خاص.

---

[1]- " أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث" لصلاح زكي أحمد، ص:119-120.

فما هو المنهج الذى اهتدى به أحمد أمين، من واقع البيئة التى نشأ بها، والمؤثرات الثقافية التى تعرض لها، أو بالدقة قام هو بالبحث عنها، فإن منهجه في تناول الفكر الإسلامي والحضارة تأثر بـ (منبعين):

أولهما: الثقافة الدينية، ثانيهما: الثقافة العصرية.

فالعقيدة الدينية والإيمان العقلي هما المحور الذى دارت حوله رسالة أحمد أمين الفكرية، فمؤلفاته فجر الإسلام، وضحى الإسلام، وظهر الإسلام، وهي من أشهر ما كتب في النهضة الإسلامية تقف شامخة بجوار مؤلفاته الأدبية الأخرى.

إن هذه المؤلفات عند صدورها عام 1929م قد أثارت الجدل بين المفكرين والأدباء بسبب طريقة ومنهج صاحبها في معالجة الإسلام وقضايا تلك الطريقة التى خالف بها كل من سبقوه في تاريخ حوادث الإسلام[1]. فقد سابقوه على نحو ما لاحظ الأستاذ عامر العقاد في كتابه عن أحمد أمين- على كتابة التاريخ وأحداثه في حوليات كما نرى الطبري وابن الأثير ومن ضرب ضربهما في التاريخ، فهي في جملتها مجموعة حوادث يختلط فيها التاريخ الخالص بالأدب والعلم والدين: ولم نعرف لأحد من المتقدمين طريقة في كتابة التاريخ على الطريقة الحديثة إلا ابن خلدون الذى صور في مقدمته كيف ينبغى أن يكتب التاريخ، ولكنه عند ما شرع في تدوين التاريخ أصابته آفة القدماء فسار على نهجهم.

ولذلك فعند ما شرع أحمد أمين في كتابة تاريخ الإسلام، فإنه التزم في بحثه بثلاثة جوانب رئيسية شاملة، وهذه الجوانب هي: الناحية الاجتماعية، الناحية العلمية، وأخيرا الناحية الدينية.

---

[1]- " المرجع نفسه، ص: 120.

إن لكل كتابات أحمد أمين الإسلامية لا يعنيه البحث عن التعرف على هذه الجوانب الثلاثة، فهي بادية واضحة في كل جزء من أجزاء كتبه الإسلامية.

فإذا شئنا أن نعرف العقلية- على طريقة أحمد أمين- فلا بد أن نعرف تاج هذه العقلية وهو الدين، وأدواتها التى تبرز بها وتحدق وهي العلوم المختلِفة. وحياتها وروحها وهي المراكز الاجتماعية التى نمت فيها وترعرعت[1].

[1]- نفس المرجع، ص: 120-121.

الفصل الرابع

أحمد أمين مؤرخا

مما لا شك فيه أن أحمد أمين ألف كتبا كثيرة في كثير من المجالات في مجال الأدب والنقد والتربية والفلسة والتاريخ وغيرها، ولكن شهرة الأستاذ الحقيقية قامت على ما كتبه من تاريخ للحياة العقلية في الإسلام في سلسلته عن فجر الإسلام، وضحى الإسلام، وظهر الإسلام، لأنه فاجأ الناس بجديد في منهج البحث، وفي أسلوبه ونتائجه، فأبدى وجها للكتابة التحليلية لعقل الأمة الإسلامية لم يبد أحد من قبل على هذا النحو، لذلك صارت هذه السلسلة عماد كل باحث أتى من بعده، فالرجل حمل سراجا أنار الطريق لمن خلفه نحو تاريخ العقلية الإسلامية [1].

غير أنه كتب فصلا عن الحديث النبوى وتدوينه، لم يتفق معه فيه بعض علماء عصره العظام، مثل: الشيخ محمد أبو زهرة، والدكتور مصطفى السباعى، فصوبوا ما يحتاج إلى تصويب في لغة بريئة وأدب عف، وقرأ أحمد أمين ما كتبوا وخصهم بالثناء، إلا أن البعض الآخر قال: إنه تلميذ المستشرقين، واتهموه بأنه يشكك في جهود المحدثين.

والواقع أن كتابا مثل "فجر الإسلام" يقع في عدة أجزاء كبار عن تاريخ الحياة العقلية في الإسلام منذ ظهوره وحتى سقوط الخلافة العباسية، تعرض فيه كاتبه لآلاف الآراء، ومئات الشخصيات، لا بد أن توجد فيه بعض الأمور والآراء التى تحتاج إلى تصويب، دون أن يذهب ذلك بفضله وسبقه وقيمته.

---

[1]- " أحمد أمين- مؤرخ الفكر الإسلامي" للدكتور محمد رجب البيومي، ص:51.

وقد وجد أحمد أمين صعوبة كثيرة في تحليل الحياة العقلية العربية، ويقول في ذلك: " لعل أصعب ما يواجه الباحث في تاريخ أمته هو تاريخ عقلها في نشوئه وارتقائه، وتاريخ دينها وما دخله من آراء ومذاهب"[1].

اجتمع أحمد أمين مع الدكتور طه حسين والأستاذ عبد الحميد العبادي وقرروا أن يدرسوا الحياة الإسلامية من نواحيها الثلاث في العصور المتعاقبة من أول ظهور الإسلام، فيختص الدكتور طه حسين بالحياة الأدبية والأستاذ العبادي بالحياة التاريخية الأستاذ أحمد أمين بالحياة العقلية، فصرف في هذا المشروع سنتين، فتم الجزء الأول من "فجرالإسلام" في آخر سنة 1928م، فلقى من حسن استقبال الناس لهذا الجزء الذى شجعه على المضى في هذه السلسلة، وقد عاقت زميليه عوائق عن إخراج نصيبهما، فاستمر أحمد أمين في إخراج " ضحى الإسلام " في ثلاثة أجزاء، و" ظهر الإسلام" في أربعة أجزاء [2].

ويقول الدكتور طه حسين في مقدمة " فجر الإسلام ": " أشهد أن زميلي " أحمد أمين " قد نهض بهذا العبء من درس الحياة العقلية العربية كاحسن ما ينهض الرجل ذو الضمير العلمى الحي بعبء من الأعباء"[3].

حديث موجز عن مواد فجر الإسلام و ضحى الإسلام وظهر الإسلام:

1- **فجر الإسلام:** قسم المؤلف كتابه إلى سبعة أبواب ذات فصول متعددة، كل باب يسلم لتابعه في نسق مطرد، وكل فصل يتدرج في هذه الأبواب يكون عضوا متماسكا مع بقية أعضائه المتلاصقة في جسم حي نابض بالدم، متدفق بالحياة.

---

[1]- " المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين" لأعضاء ملتقى أهل الحديث، ص:5.
[2]- " حياتي " لأحمد أمين، ص:162.
[3]- مقدمة " فجر الإسلام " لأحمد أمين.

بحث في الباب الأول من هذا الكتاب عن جزيرة العرب في الجاهلية واتصالهم بمن جاورهم من الأمم وطبيعتهم العقلية وحياتهم العقلية ومظاهرها في فصول خمسة، وفي الباب الثاني عن الإسلام ونشأته وشيوعه وتعاليمه في الفصلين، وفي الباب الثالث عن الفرس وآدابهم وآثارهم في فصلين، وفي الباب الرابع عن التأثير اليوناني والروماني في ثلاثة فصول، وفي الباب الخامس عن الحركة العلمية في القرن الأول الهجري ومراكزها في فصلين، وفي الباب السادس عن الحركة الدينية من القرآن وتفسيره والحديث والتشريع في العصر الأول والقانون الروماني في ثلاثة فصول، وفي الباب السابع بحث عن الفرق الدينية من الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية والمعتزلة وعن انتشار الجدل بين الأمة الإسلامية في العصر الأموي في أربعة فصول[1].

والحق أن تاريخ التأليف العلمى المنسق على سنن منطقى لم يشهد قبل أحمد أمين من أبدع في هذا المجال أقوى الإبداع، إذ كان حديثه في هذه الأبواب فتحا جديدا، نبه الأذهان إلى طرق في التأليف لم تكن معهودة من قبل.

أما الباب الأخير فهو باب الخلافة وما تفرع بسببها من الأحزاب السياسية كالخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية والمعتزلة. فكله جديد في طريقة تناوله، ولم يأت بها أي مؤرخ من عنده، ولكن البراعة كل البراعة في تسلسل البحث واطراده وتماسكه، وكل ما كتبه أحمد أمين في هذا المجال أصبح المرجع الأول لمن تلاه من الباحثين[2].

---

[1]- مقدمة " فجر الإسلام " لأحمد أمين.

[2]- " أحمد أمين- مؤرخ الفكر الإسلامي" للدكتور محمد رجب البيومي، ص:57-59.

2- **ضحى الإسلام:** هذا الكتاب يشتمل على ثلاثة أجزاء كبار، يحدث جزؤها الأول عن الحياة الاجتماعية والثقافات المختلفة- الثقافة الفارسية، الثقافة الهندية، الثقافة اليونانية، والثقافة الرومانية، والثقافة العربية، والثقافات الدينية من اليهودية والنصرانية الإسلامية- في العصر العباسى الأول، ويتحدث جزؤها الثاني عن نشأة العلوم وتطورها في العصر العباسى الأول، ويتحدث جزؤها الثالث عن الفرق الدينية من معتزلة وشيعة ومرجئة وخوارج مع الإلمام بتاريخهم وطابع أدبهم الفني.

لقد أراد المؤلف بهذه التسمية الاعتبار الزمني لتدرج الفكر العلمى من عصر إلى عصر.

أما المؤرخ العقلى الذى لم يغفل مسائل السياسة التى أدت إلى ظواهر جديدة على المجتمع الإسلامي، فقد كان هو أحمد أمين الذى مزج حديث السياسة بحديث الفكر مزجا موفقا حين ألم بحياة اللهو وحياة الجد، وقارن بين الأمويين والعباسيين في الحياتين، وأوضح كيف تدرج اللهو بتدرج العصور.

وإن كتاب (ضحى الإسلام) بأجزائه الثلاثة من أنفس ما كتب الأستاذ أحمد أمين، وهو من ذخائر الفكر الإسلامي دون نزاع [1].

3- **ظهر الإسلام:** ظهر في أجزاء أربعة، والجزء الأول أقواها، لأنه كتب والأستاذ ممتع بصحة جسمه، وسلامة عينه، وإن كان قد احتاج إلى مرانة طويلة كى يواصل ما انقطع بعد انتهائه من (ضحى الأسلام)، وقد قسم الكتاب إلى جزأين، جزء أول يتعلق بالحياة الاجتماعية في هذه الفترة

---

[1]- " المرجع نفسه، ص:67-69.

المضطرمة بالأحداث والانقلابات، فيسرد الكثير عن سكان المملكة الإسلامية من عرب وفرس وتركيا وروم وكرد ومذاهبهم الدينية المختلفة، وقد تعددت ما بين مسلمين ويهود ونصارى وصابئة.

أما الجزء الثاني فخاص بمراكز الحياة العقلية في هذا العصر، وهي مراكز شتى في مصر والشام والعراق وجنوب فارس، وخراسان، وماوراء النهر، والسند، وأفغانستان، والمغرب، وفي كل مركز من هذه المراكز حديث دقيق عن الحركة اللغوية، والحركة الأدبية، ورجالها، وأظهر مؤلفاتهم، وأثرهم في سير الثقافة الإسلامية كما يشمل الحديث أشياء هامة عن مدن الثقافة، والدول السياسية التى رعت هذه الثقافة، القائمين عليها في كل صقع.

وجاء الجزء الثالث من الظهر خاصا بالأندلس، حيث أفاض البحاثة في الحديث عن العرب منذ فتحوا البلاد إلى خروجهم منها. وكان اهتماهه كعهده بالحركات الدينية واللغوية والنحوية والأدبية والفلسفية والتاريخية والفنية.

وقد انتقل الأستاذ الكبير إلى جوار ربه قبل أن يظهر الجزء الرابع من الظهر إلى الوجود، حيث ترك الفقيد أوراقه في أدراج مكتبه، وعهدت أسرته الحريصة على ذيوع فضله إلى تلميذه الدكتور (أحمد فؤاد الأهواني) كى يعمل على نشر الأوراق المخطوطة وفق ما يراه في ترتيبها، وهي مهمة قام بها الدكتور الأهواني مشكورا دون تردد، وقد قال بعض ما فعل: " إن الأصل لم يكن بخط أحمد أمين، فقد جرت عادته في أواخر حياته بعد أن أصيب ببصره أن يملى، وكان قد دفع ما كتب إلى

شخص يكتبه على الآلة الكاتبة، ولم يكن في الأصل عنوان للفقرات، وقد قمت بوضع العناوين التى تستخلص من روح الموضوع".

أما الجزء الرابع فتدور أبوابه على الحديث عن المعتزلة، وأهل السنة والشيعة والصوفية، ثم ختم بتذليل عن الحركات العلمية والدينية [1].

فجاء هذه الكتب كلها كموسوعة كبيرة عن الحياة العقلية والسياسية والدينية في قرون أربعة.

4- **يوم الإسلام**: أما هذا الكتاب فقد بحثت عنه في الباب الثاني بالتفصيل.

أهمية هذه الكتب عند العلماء والأدباء الكبار:

يقول الدكتور طه حسين عن أهمية وقيمة هذه الكتب: " لقد أهدى أحمد أمين إلى العالم الحديث بتأليف" فجر الإسلام وضحاه وظهره" كنزا من أقوم الكنوز وأعظمها حظا من الغنى وأقدرها على البقاء ومطاولة الزمان والأصراح". ويقول في موضع آخر: " من ألف فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام أبقى على الأيام من أن يدركه الموت".

ويقول عبد الرزاق السنهوري: " إن سلسلة فجر الإسلام وضحاه وظهره من أقوم وأروع ما وضع عن الحياة العقلية والفكرية للإسلام". ويقول أيضا: " لقد أسس أحمد أمين مدرسة في الفكر الإسلامي لا أعرف أن معاصرا قام بعمل يدانيه وستبقى هذه المدرسة راسخة الأصل باذخة الفروع، وسيظل هو إمامها وزعيمها الفكري الكبير".

---

[1]- " أحمد أمين- مؤرخ الفكر الإسلامي" للدكتور محمد رجب البيومي، ص:117-119.

ويقول عبد الواحد خلاف: " لقد أخرج أحمد أمين من ذخيرته الغنية تاريخا جامعا دقيقا للتفكير الإسلامي في عصور المختلفة، ولعل أكبر أثر له هو سلسلة فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام".

ويقول محمود تيمور: " إقرأ كتابه فجر الإسلام وصنويه الضحى و الظهر تلمح خلف مظاهر البحث و الدرس لوامح الروح الأصيلة تميط الغبار عن معالم الفكر العربي وتريك الضوء من مصابيحه".

ويقول الأمير مصطفى الشهابي: " إن السلسلة الرائعة من تاريخ الأدب العربي التى تبدأ بفجر الإسلام وتنتقل إلى ضحى الإسلام فإلى ظهر الإسلام، كنوز من المعرفة كتبت بأسهل لسان، ونقلت من أصح مصادر واشتملت على أدق الآراء العلمية".

ويقول أحمد حسن الزيات: " حسب أحمد أمين أنه حلل الحياة العقلية للعرب والمسلمين في كتبه: فجر الإسلام وضحاه وظهره، تحليلا لم يتهيأ مثله لأحد من قبل. وستظل هذه الكتب الخالدة شاهدة على الجهد الذى لم يكل، والعقل الذى لم يضل، والبصيرة التى نفذت إلى الحق من حجب صفيقة واهتدت إليه في مسالك متشعبة".

ويقول أحمد فؤاد الأهواني: " لم يظفر كتاب من الذيوع والانتشار والتأثير بمثل ما ظفرت به مجموعة الكتب التى أصدرها أحمد أمين حين أصدر فجر الإسلام بضحى الإسلام ثم ظهر الإسلام". وهو يقول في موضع آخر: " أصبح الفجر والضحى والظهر مرجع كل طالب، ومرشد كل باحث، والمنارة التى يهتدى بها الناظر في التاريخ الإسلامي وحضارته".

ويقول وداد السكاكيني: " حين صور أحمد أمين الحياة العقلية في فجر الإسلام وفي ضحاه وظهره أخرج للعالم كله مرجعا من أجمل المراجع وأحسنها نسقا وتوثيقا"[1].

[1]- " حياتي " لأحمد أمين، ص: 254-255.

الباب الثالث

دراسة تحليلية لكتاب" حياتي"

الفصل الأول: تعريف موجزبالكتاب "حياتي"

الفصل الثاني: الخصائص البارزة لـ " حياتي"

الفصل الثالث: الاعتناء باللغة وأسلوب الكتاب

الفصل الأول

تعريف موجزبالكتاب" حياتي "

هذا الكتاب " حياتي " سيرة ذاتية للدكتور أحمد أمين المصري وظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب عام 1950م الصادر عن دار الشروق المصرية بالقاهرة في مئتين وخمسين صفحة من القطع المتوسط[1].

كتب أحمد أمين سيرته الذاتية المسمى بـ " حياتي " وسرد فيه سردا منفصلا سيرة حياته، منذ أيام طفولته ورجولته وشبابه وشيخوخته حتى قبيل وفاته بقليل، وقد كتبها وهو نحو الرابعة والستين من عمره، معتمدا في رواية أحداثها على الذاكرة التى فرضت عليه في كثير من أجزائها الاستسلام إلى تداعى المعانى كما اعتمد في أجزاء أخرى منها على مذكرات كان قد سجلها منذ أول عهد شبابه، عن رحلاته داخل مصر وخارجها وعلى مفكرات سنوية كان يثبت فيها أهم أحداث حياته [2].

ومن الدراسة العميقة تبدو لنا أن كتاب "حياتي" خير كتاب ومرجع تاريخي للنهضة المصرية الحديثة منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ويعرض فيه أحمد أمين تجارب حياته التي مر بها في مراحل حياته الفنية وأسفاره داخل مصر وخارجها، ومساهماته في كثير من المؤتمرات في أوربا واطلاعه الوسيع على حياة الكثير من شعوبها وقيامه بالمقارنة ما فيها من مدينة وعمران ورقي. ويذكر أيضا نشاطه الواسع، فقد كان عضوا في المجمع اللغوي المصري وفي مجلس دار الكتب ومجلس كلية الآداب ودارالعلوم ورئيس

---

[1]- " حياتي " لأحمد أمين، ص:5.

[2]- " الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، للدكتور يحيى إبراهيم عبد الدايم، ص:260.

لجنة التأليف والترجمة والنشر التي ظل رئيسا لها ثلاثين عاما، وشارك في إخراج مئتى كتاب للطبع من نشرياتها، والجامعة الشعبية والإذاعة في الراديو ومساهمته في تحرير مجلات "الرسالة" و "الثقافة" و "الهلال" وغير ذلك من النشاطات الأدبية التي يصعب حصرها، يقول أحمد أمين في كتابه "حياتي" عن حياته: " لو استعرضت حياتي من أولها إلى آخرها لكانت "شريطا" فيه شيئ من الغرابة وفيه كثير من خطوط متعرجة، فما أبعد أوله عن آخره، وما أكثر ما فيه من مفارقات، وتغير في الاتجاهات، ومخالفة للاحتمالات"[1].

يقول محمد عبد الله محمد الزامل في وصف هذا الكتاب: " يعتبر كتاب "حياتي" للمفكر الدكتور أحمد أمين رحمه الله من أمتع كتب السيرة الذاتية التي صدرت خلال النصف الثاني للقرن العشرين ذلك أن المرحوم أحمد أمين بما فطر عليه من حس علمي وتفكير موضوعي دقيق استطاع أن يعرض ويؤرخ لا لمسيرته العلمية والفكرية فحسب، وإنما كان عرضا حرا ينشال بالحياة ويزخر بالمشاهد والصور قديما وحديثا فكان صورة ناطقة لتاريخ جيل وحقبة مهمة من حقب النهضة العربية الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وقد عرض فيه لمختلف مراحل حياته وسيرته الفكرية والعلمية مبتدئا بالبيئة التي ولد فيها ومنتقلا لدراسته وتعليمه والمناصب الوظيفية والرسمية التي تقلدها وزواجه وأسرته وأحزانه والدراسات الفكرية والعلمية التي حققها ونشرها عابرا أثناء ذلك أجواء التطور الاجتماعى والاقتصادي والسياسي للمجتمع المصري مسجلا خلاله ملاحظاته العميقة والهادفة على مختلف مناحى الحياة

---

[1]- " حياتي " للأستاذ أحمد أمين، ص:293.

وجوانبها، ثم مرحلة الإحالة على المعاش والمرض وما انتهى إليه من فلسفة في الحياة والأحياء، كل ذلك بأسلوب علمي مبسط مشرق خال من الحشو والتعقيد"[1].

هذه حقيقة ناصعة بأن كتاب " حياتي" لأحمد أمين من أجود كتبه وخاصة تلك الصفحات من حياته التي يتحدث فيها عن مرضه وشيخوخته، أنها في الحقيقة صفحات من الحياة شاجية أليمة، فإن كتاب "حياتي" من قبل ومن بعد قصة حياة رائعة جميلة تثير فينا كل معانى الطموح والعجب الإعجاب بهَذا الفتى الذى استطاع وقد خرج من صميم الشعب، أن يشق طريقه في الحياة تحت ظروف قاسية، ثم يحقق في النهاية الكثير من آماله وأحلامه وتوجد في حياته كلها دروس كثيرة لنا.

من أول الكتاب إلى آخره لا تفوت الكاتب عبرة في موضعها أو حكمة في مناسبتها أو لفتة أدبية في سياقها دون أن يحسها القارئ مقحمة عليه ومستدعاة إليه بغير داع، كأنها من "الصورة" جزء من أجزاء الإضاءة والتظليل[2]، بذل أحمد أمين قصارى جهده في سبيل تأليف "حياتي" وكل من يقرأ مقدمة "حياتي" يستطيع أن يفهم هذه الحقيقة، يشير أحمد أمين إلى صعوبة الكتابة عن النفس قائلا: " لم اتهيب شيئا من تأليف ما تهيبت من إخراج هذا الكتاب، فإن كل ما أخرجته كان غيري المعروض وأنا العارض أو غيري الموصوف وأنا الواصف، وأما هذا الكتاب فأنا العارض والمعروض والواصف والموصوف، والعين لا ترى نفسها إلا بمرآة، والشيئ إذا زاد قربه صعبت رؤيته، والنفس لا ترى شخصها إلا من

---

[1]- مقال لمحمد عبد الله محمد الزامل، نشر في صحيفة" الجزيرة" عدد الصادرة من السعودية الإثنين، 1،جمادى الثانية، 1422هـ.
[2]- " بين الكتاب والناس " لعباس محمود العقاد، ص:26.

قول عدو أو صديق، أو بمحاولة للتجرد ثم توزيعها على شخصيتين: ناظرة ومنظورة، وحاكمة ومحكومة، وما أشق ذلك وأضناه"[1].

وأصدق السير الذاتية هي ما يكتبها الإنسان عن ذاته فهو يجردها من المديح ومن تضخيم الذات فهو يتكلم عن معاناته النفسية والجسدية ويسطر مشاعره الإنسانية بكل تجرد وهذا ما لمسته بكتاب (حياتي) لأحمد أمين، كما يتحدث الأستاذ أحمد أمين عن مشكلة الإنسان بإبراز مصاعب نفسه، وإظهار شوائبه وهو يقول: " إن حديث الإنسان عن نفسه – عادة – بغيض ثقيل، لأن حب الإنسان نفسه كثيرا ما يدعوه أن يشوب حديثه بالمديح ولو عن طريق التواضع أو الإيماء أو التلويح، وفي هذا المديح دلالة على التسامى والتعالى من القائل، و مدعاة للإشمئزاز والنفور من القارئ والسامع، ولذلك لا يستساغ الحديث عن النفس إلا بضروب من اللباقة وأفانين من اللياقة"[2]. فالأستاذ أحمد أمين لم يحص وقائع حياته كلها و ما كان في وسعه، أن يحصيها كاملا في كتاب موجز، وقد أشار صاحب الكتاب إلى ذلك في مقدمة "حياتي" وقال: " لم أذكر فيه كل الحق ولكنى لم أذكر فيه أيضا إلا الحق فمن الحق ما يرذل قوله وتنبو الأذن عن سماعه، وإذا كنا لانستسيغ عري كل الجسم فكيف نستسيغ عري كل النفس"؟[3]، فرغم ذلك قد ذكر الكاتب حياته كلها مع المقارنة بين أصدقائه وبيئة عصره السياسية و الثقافية و الفكرية، يقول عباس محمود العقاد: " وليس في وسع مؤلف – بالبداهة- أن يحصي وقائع حياته كلها في كتاب موجز أو مفصل، وقد يكون الاكتفاء بالأهم من تلك الوقائع أعسر من التفصيل والتطويل، ولكن زميلنا مؤلف" حياتي" قد سرد لنا تاريخا نقرأه فيخيل إلينا أنه متسلسل مطرد يغير فجوة في

---

[1]- " مقدمة حياتي " لأحمد أمين.
[2]- المصدر السابق.
[3]- المصدر نفسه.

أثنائه، لأنه صنع بقلمه ما يصنعه المصور القدير بريشته: لمسة بارزة هنا ولمسة خفيفة هناك، وخط عريض في ناحية وخط يخيل في ناحية أخرى وإذا بالصورة أمامك كاملة متناسقة، تحسبها جمعت ملامح الوجه كلها فلم تترك هدبا ولا شارة وإنما هي براعة التصوير التي تخرج لنا صور كاملة غير محسوسة الفجوات من هذه الخطوط المتفرقات"[1].

أبرز الأستاذ أحمد أمين هدفه وغايته لكتابة "حياتي" فقال في المقدمة لسيرته الذاتية: " لعلها تصور جانبا من جوانب جيلنا و تصف نمطا من أنماط حياتنا، ولعلها تفيد اليوم قارئا وتعين غدا مؤرخا فقد عنيت أن أصف ما حولي مؤثرا في نفسي، ونفسي متأثرة بما حولي" [2]. أراد الأستاذ أحمد أمين من تسجيله في "حياتي" تصويرا لجانب من جوانب جيله و وصف النمط من أنماط حياته وإفادة القارئ اليوم وإعانة المؤرخ غدا.

كتب الأستاذ أحمد أمين في "حياتي" عن ترجمته الشخصية، وصور نفسه وعصره و مصره وثقافته ومجتمعه أحسن تصوير، فسيرته "حياتي" تحتوي الجوانب كلها لحياته المنعدمة النظير من نعومة أظفاره إلى اشتعال رأسه شيبا وأنه قد ذكر فيه قصة لطفولته وقريته، لبيئته وأهله لرفاقه وأترابه، و روى تجاربه في الكتاب و الأزهر و تحدث عن والديه و أساتذته و رحلاته و مهنته و مرضه و خدماته في مجال العلم و الثقافة والتاريخ وما عدا ذلك وعلى الجملة أنه جمع فيه الصغير والكبير تماما من حياته.

---

[1]- " بين الكتاب والناس " لعباس محمود العقاد، ص:25.
[2]- " مقدمة حياتي" لأحمد أمين.

إن الدكتور أحمد أمين لا يذهب إلى الإطلاق وعدم التحديد في الأسماء الأماكن بل أنه يحدد الأسماء الأماكن لكى تتم فائدة الرواية التاريخية والرواية الاستعراضية والرواية الإخبارية. وكذلك كلما يكتب في كتابه "حياتي" عن الكتاب ومعلمه والأزهر وعلمائه وقريته يجد في نفسه قلقا متوافرا وينتقد في وقت مناسب على الجميع نقدا علميا مخلصا متواضعا لطيفا مع تعليله السبب القيم و تحليله التعقيدات والمعرقلات وتقديمه التقارير والمعترضات بقلب سليم وإخلاص زائد وهو يصف والده وأمه وصفا متزائدا ولكنه ينتقد على أبيه أيضا لمبالغته في الشدة على الأولاد والأهل في أمور دينهم ولكن الانتقاد يكون متواضعا لطيفا.

يقوم أحمد أمين في سيرته الذاتية "حياتي" بالمقارنة الدقيقة والدراسة التحليلية والعميقة للأشخاص والأفراد وبين الأماكن والبلدان وبين الأشياء والإنتاجات وبين الثقافات المحلية والعالمية وبين الشرق والغرب، وكذلك يقدم بتعليل دقيق لكل ما يراه ويشاهده.

وعلى الرغم من أن الكتاب "حياتي" عن السيرة الذاتية إلا أنه حافل بإنكار الذات وغارق في النظرة الموضوعية التحليلية للأحداث والتي جعل الكاتب نفسه فيها مراقبا ومحللا وناقدا لنفسه وللمجتمع دون انحياز للأنا ولا تضخيم للذات.

وبالجملة أن كتاب "حياتي" يلقي أثرا ملموسا في نفس القارئ، لا يود تركه إلا بعد اختتام فصوله، وشهد لهذا الواقع العباقرة من النقاد الأدباء، ومثلا يقول عباس محمود العقاد: " وإنك لتبدأ الكتاب وتنتهي منه بغير توقف، لاستطراده في نشق سهل جميل، يذكرك إذا جنح إلى الجد بأسلوب الغزالي في إحيائه ويذكرك إذا تلطف بأسلوب أبي الفرج في أغانيه، ولا أذكر أني توقفت فيه إلا عند بعض الملاحظات التاريخية أو اللفظية التي قد يتساوى التوقف لديها

والعبور بها مع النظر إلى جوهر الموضوع. ويحدثك عن الفكاهة كما يحدثك عن المجد، فلا يمنعه العبوس أن يبتسم ولا يمنعه الابتسام أن يعبس ولكنه يطالعك في الحالتين بصير حكيم ينطوي فيه العبوس و الابتسام[1].

[1]- " بين الكتاب والناس" لعباس محمود العقاد، ص:28

الفصل الثاني

الخصائص البارزة لـ "حياتي"

من الدراسة العميقة لكتاب " حياتي " للأستاذ أحمد أمين تتجلى لنا خصائص بارزة كثيرة لا تحصى ولا تعد، ولكننى قد أخذت منه بعض أهم الخصائص المنفردة مثل أثر الوراثة و البيئة على شخصيته و مظاهر التغير على حياته و مؤثرات هامة في مكونات شخصيته و دوره في الحياة الثقافية وعناصر فنية و أسلوب الكتاب و شخصيات مؤثرة في تكوينه الثقافي و صدقه و تواضعه و إثباته للتواريخ و الأسماء و الأماكن و دروس لنا في مجال التربية و الأدب و الاجتماع و فلسفته في السياسة و كذلك أحداث الفكاهة في حياته اليومية و الثورة و الصراع النفسي و ما إلى ذلك. أريد الآن أن أذكر شيئا من أهم خصائص الكتاب البارزة حول العناوين الآتية.

أثر الوراثة و البيئة في شخصيته:

إن الأستاذ أحمد أمين يبدأ ترجمته الذاتية، لإثبات إيمانه بعاملين الوراثة والبيئة ويتناول بالتحليل أثرهما في تكوين شخصيته، فما هو إلا نتيجة حتمية لكل ما مر عليه وعلى آبائه من أحداث، وهو يقول في سيرته الذاتية "حياتي": " فكل ما يلقاه الإنسان من يوم ولادته، بل من يوم أن كان علقة، بل من يوم أن كان في دم آبائه، فكل ما يلقاه أثناء حياته، يستقر في قرارة نفسه، ويسكن في أعماق حسه، سواء في ذلك ما وعى و مالم يع، وما يذكر وما نسى، وما ألذ وما آلم، فنبهة الكلب يسمعها، وشعلة النار يراها، وزجرة الأب أو الأم يتلقاها، وأحداث السرور والألم تتعاقب عليه- كل ذلك يتراكم ويتجمع ويختلط ويمتزج ويتفاعل، ثم يكون

هذا المزيج وهذا التفاعل أساسا لكل ما يصدر عن الإنسان من أعمال نبيلة وخسيسة- وكل ذلك أيضا هو السبب في أن يصير الرجل عظيما أو حقيرا، قيما أو تافها- فكل ما لقينا من أحداث في الحياة، وكل خبرتنا وتجاربنا، وكل ما تلقته حواسنا أو دار في خلدنا هو العامل الأكبر في تكوين شخصيتنا، وكل إنسان- إلى حد كبير- نتيجة لجميع ما ورثه عن آبائه، وما اكتسبه من بيئته التي أحاطت به".

ويقول: " ولو ورث أي إنسان ما ورثت، وعاش في بيئة كالتي عشت لكان إياي أو ما يقرب مني جدا".

"لقد عمل في تكويني إلى حد كبير ما ورثت عن آبائي، والحياة الاقتصادية التي كانت تسود بيتنا، والدين الذي يسيطر علينا، واللغة التي نتكلم بها، وأدبنا الشعبي الذي كان يروى لنا ونوع التربية الذي كان مرسوما في ذهن أبوي ولو لم يستطيعا التعبير عنه ورسم حدود ونحو ذلك، فأنا لم أصنع نفسي ولكن صنعها الله عن طريق ما سنه من قوانين الوراثة والبيئة"[1].

وفي ضوء هذا الإيمان بقوانين الوراثة و مكتسبات البيئة، يتبع المؤثرات التي عملت في تكوينه، وجعلته صاحب دور ثقافي له أهميته في حياتنا الأدبية، وهو لم يكن ليكون كذلك، لولا ما ورثه عن آبائه، وما أثر فيه من عوامل البيئة المحيطة به. فإلى أبيه يرجع ما فيه من "عناد وقوة وإرادة وجلد على العمل، وصبر على الدرس، ونزعة غضب وكثرة تفكير في العواقب، وإلى أمه يرجع ما في شخصيته، من سذاجة وعدم حرص على مال، وحزن، وحسن ظن بالناس فيما

---

[1]- " حياتي" لأحمد أمين، ص:12- 13.

يقولون ويعلون، وندم على غضب، وسرعة تحول من غضب إلى هدوء، ومن سخط إلى رضا"[1].

إن هذه العوامل الوراثية قد تركت آثارها في شخصيته، وفي مزاجه وخصائصه الخلقية، وعوامل البيئة قد تركت أيضا آثارها في تكوينه، السلوكي والفكري، منذ أيام طفولته وهو يرجع أهم عوامل البيئة إلى عوامل هامة.

أولها بيته، فقد كان أول مدرسة تعلم فيها أهم دروس في الحياة، ويملك زمام أموره فيه، أب يقوم بالتدريس في الأزهر وفي مسجد الإمام الشافعي ويقوم بإمامة أحد المساجد الأخرى، وقد عرف بالجد والشدة، ويتحكم في كل ما يتعلق بأمور الأسرة، حتى فيما تأكل ومالا تأكل، فقد كان البيت الذي ولد فيه أحمد أمين بيتا لا هزل فيه، متحفظا ليس فيه ضحك كثير، ويقول أحمد أمين نفسه: " وهو بيت يغمره الشعور الديني ، والأب يربى أولاده فيه تربية دينية فيوقظهم في الفجر ليصلوا ويراقبهم في أوقات الصلاة الأخرى، ويسائلهم متى صلوا وأين صلوا"[2]، وقد انعكست في طبيعته، كل خصائص البيت التي ذكرها.

أما المدرسة الثانية التي أثرت في تكوينه منذ طفولته، فهي"الحارة" التي نشأ في بيت من بيوتها الثلاثين، وهو يسهب في الكلام على الآثار التي تركتها الحارة في شخصيته، بنماذجها البشرية العديدة، وعاداتها المصرية الصحيحة، وقد لعب في طفولته مع ابناء الحارة، وتعلم منهم أحمد أمين مبادي السلوك ومعهم تبادل عواطف الحب والكره، و العطف والانتقام، وعرف منهم الألفاظ الرقيقة وألفاظ السباب، حتى لقد انطبعت في ذهنه أول صورة للحياة المصرية الصميمة

---

[1]- نفس المصدر، ص:211.
[2]- نفس المصدر، ص: 20-23.

في سلوكها وأخلاقها وعقائدها وخرافاتها وأوهامها ومآتمها وأفراحها وزواجها وطلاقها إلى غير ذلك كما انطبعت في نفسه، اللغة العامية القاهرية بألفاظها وأساليبها وأمثلتها وزجلها، لأن حارته التي كانت تضم بيوتا من طبقات الشعب العليا والوسطى والدنيا، كانت تمثل الحياة القاهرية الخاصة، بعاداتها وتقاليدها الوطنية قبل أن تغزوها المدنية الحديثة بماديتها وعاداتها[1].

أما المدرسة الثالثة التي تركت طابعها على شخصيته، فكانت الكتاب، وقد تنقل بين أربعة كتاتيب خلال خمس سنوات، تعلم فيها القراءة والكتابة، وحفظ القرآن. وهو يتحدث عن الكتاب ويظهر كراهيته للكتاب ولسيدنا، ويعرض بالنقد الهادئ، لطريقة التعليم بالكتاتيب وما كان يسودها من عقم وقسوة.

بعد ذلك يخرجه أبوه من الكتاتيب الكريهة ليدخله مدرسة (أم عباس) الابتدائية فيمكث بها حتى السنة الرابعة ثم يخرجه والده من هذه المدرسة ليغير طريقة من التعليم المدني الذي يتلقاه في مدرسة أم عباس، ليلحقه بالتعليم الأزهري وهو يبين فضل أبيه عليه وأثره في تلقينه العلوم الإسلامية، لقد وضع له منهجا مرهقا وهو ما يزال صبيا حين كان تلميذا بمدرسة أم عباس إذ كان يقوم بتحفيظه المتون الأزهرية كالفية ابن مالك في النحو وغيرها إلى جانب حضوره دروس المدرسة وكان يرهقه ويوقظه في الفجر ليبدأ معه بعد الصلاة ذلك المنهج التعليمي الشاق الذي جعل الصبي يحس بالتمرد والثورة فيحاول أحيانا الهرب من بعض الدروس التي تستمر إلى ما بعد صلاة العشاء[2].

---

[1] - "نفس المصدر، ص: 31-38.
[2] - نفس المصدر، ص: 39-48.

وهو يلحق بالأزهر وهو نحو الرابعة عشرة، فيرتدى العمة والجبة بعد أن كان يرتدى (الطربوش والبذلة) في مدرسة أم عباس، وكان يشغل نفسه بحياته في الأزهر ويحاول أن يتكيف مع بيئته الجديدة وأن يتفهم دروس الأزهر، وقد أظهر سخريته من بعض شيوخ الأزهر، ومن طريقة تدريسهم التي كان لايفهم منها كثيرا وكانت سخريته واضحة حين ذكر أستاذ النحو مثلا، وكان شيخا متدفقا كثير الاعتراضات والاجابات " فلم أفهم مما قال شيئا، وكان رحمه الله شيخا غريبا،طلق اللسان، كثير الاستطراد، كثير الفخر بنفسه، فساعته التي يضعها في جيبه، لم يضع منها إلا ساعتان، إحداهما التي في جيبه، والأخرى مع امبراطور إلمانيا، وفي بيته آلاف من الكتب، بعضها مجلد بالألماس، وله ساعات طويلة يقضيها سرا مع الخديو عباس يتحدثان فيها عن أهم شؤون الدولة".

وهو في هذه السخرية، لايقارن بالعقاد الذي كان دائم الكلام عن تمرده على بيئته، ولا يقارن أيضا بالتمرد الذي ملأ به طه حسين صفحات " الأيام " وسخر فيه من أدعياء التدين بالريف، ومن شيوخ الأزهر بالقاهرة، سخريته لإذاعة موجهة، لكن أحمد أمين لا يمضى في سخريته إلى مدى بعيد، لان طبيعته التي يعكسها في ترجمته الذاتية ليست طبيعة ثورية متمردة ساخرة إذ لا يلبث أن يتدارك ما أبداه من سخرية على شيخه، فيعقبها بقوله " ومع ذلك، كان خفيف الروح حسن الحديث...."[1].

مؤثرات هامة في تكوين شخصيته مع دوره في الحياة الثقافية:

إن هناك مؤثرات هامة لعبت دورا مرموقا في تكوين شخصية أحمد أمين الخلقية والروحية والفكرية والثقافية، ومن أهم المؤثرات الهامة هي بيئته. إن

---

[1] - حياتي، ص: 49- 55.

البيئة هي شيئ يكون شخصية رجلا عظيما أو حقيرا، قيما أو تافها كما يقول الأستاذ أحمد أمين في بداية سيرته الذاتية " حياتي " : " وكل إنسان – إلى حد كبير- نتيجة لجميع ما ورثه عن آبائه، وما اكتسبه من بيئته التي أحاطت به[1]"، إنه عبر بيته أول مدرسة تعلم فيها أهم دروسه في الحياة وتكونت فيها عناصر جسمه و خلقه و روحه.

وكذلك من المؤثرات الهامة التي تركت طابعها على شخصيته الفكرية بنوع خاص هي الشخصيات، منها شخصية أبيه أولا، وشخصيات أساتذته ثانيا وخاصة أستاذه عاطف بركات، ومنها سيدتان إنجليزيتان كانتا تعلمانه الإنجليزية. فهذه المؤثرات الهامة جعلته يلعب دورا هاما في الحياة الثقافية و العلمية.

إن دوره الذي شارك فيه في الحياة العلمية فهو اشتغاله مدرسا بالمدارس الابتدائية، ثم معيدا بمدرسة القضاء الشرعي، فقاضيا في الواحات، فمدرسا في مدرسة القضاء، ثم رئيسا للجنة التأليف و الترجمة و النشر، فأستاذا بكلية الآداب فعميدا لها، فمديرا للإدارة الثقافية في الجامعة العربية، و ينشئ خلال فترة عمله بها معهد المخطوطات العربية ثم مديرا للإدارة الثقافية بوزارة المعارف، فيضع فكرة " الجامعة الشعبية"، ثم يبين دوره في الحياة الأدبية و الثقافية و إسهامه فيها بنشره المقالات في الصحف و المجلات مثل صحيفة " السفور" و مجلة " الثقافة" و غيرهما، إلى جانب نشره العديد من الكتب والأبحاث عن الإسلام و الفلسفة و الأدب، ومن خلال نقله دوره الذي أسهم به في حياتنا الثقافية، يطلعنا على مرحلة

---

[1] - المصدر نفسه ، ص: 13.

هامة من تاريخ الحركة الأدبية و الثقافية في مصر في النصف الأول من القرن العشرين[1].

شخصيات مؤثرة في تكوينه الثقافي ومظاهر التغير في شخصيته:

إن أحمد أمين يذكر في سيرته الذاتية " حياتي" أهم الشخصيات التي تركت طابعها الخاص على تكوينه الثقافي حتى كملت له شخصيته الثقافية التي خرج بها إلى الحياة العامة ليقوم بدوره البارز في مجال الثقافة، ومن أهم هذه الشخصيات شخصية أبيه الذي عين له دروسا أخرى يلقيها عليه في البيت غير تلك التي لم يستسغها في دروس الأزهر المليئة بالحواش والتقارير والاعتراضات والاجابات، وقد حبب إليه العلوم الإسلامية وعلوم النحو والأدب والتاريخ، وشرحها لها بعبارة واضحة وأسلوب سهل، كما أتاح له الاطلاع على ما تحويه مكتبته من ألوان الثقافات والآداب العربية والإسلامية فأقبل على قراءتها في شغف ونهم، حتى أحس بالتفوق على زملائه بالأزهر[2].

ومن أهم الشخصيات هي شخصيات أربع شخصيتان من الرجال وشخصيتان من النساء، كان لهم جميعا أعمق الأثر في تكوين شخصيته بعد شخصية أبيه. أما الشخصيتان من الرجال فهما شخصية الشيخ " عبد الحكيم بن محمد " الذي تخرج في دارالعلوم، وكان مدرسا للغة العربية بمدرسة رأس التين الثانوي، لقيه حين ترك الأزهر ليقوم بالتدريس بمدرسة " راتب باشا الابتدائية " بالإسكندرية وهو عند ما يصف شخصية هذا الشيخ يصفها وصفا يفيض من قلبه، حتى يظهر من خلاله انفعالاته ومشاعره ما تركه هذا الأستاذ في نفسه وعقله

---

[1] - " الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث" للدكتور يحي إبراهيم عبد الدايم، ص:260-261.

[2] - " حياتي " ص: 62.

وقلبه من أثر عميق وكلامه عنه من الأمثلة على انفعاله ببعض ما ينقله من أحداث حياته، وهو يذكر أنه حين قابله اتخذه أخا كبيرا له، إذ كان هذا الأستاذ في نحو الثانية والأربعين، وكان أحمد أمين في نحو الثامنة عشرة، وكان هذا الأستاذ على تصوفه واسع الأفق حر الفكر، ويؤيد الشيخ محمد عبده في دعوته على الإصلاح وقد صحبه، فكان مكملا لنقصه، موسعا لنفسه، مفتحا لأفقه، لأنه كان يجهل الدنيا حوله، فعرفه إياها، وكان لا يعرف إلا الكتاب، فعلمه الدنيا التي ليست في كتاب، وكان أبوه وشيوخه يعاملونه على أنه طفل، فعامله على أنه رجل، فملأ فراغه، وآنس وحدته، فيفيض هذا الأستاذ في الحديث بكل ما هو طريف ممتع، ينقد المجتمع نقد خبير، ويتحدث في شؤون الزراعية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وهو في كل ذلك كثير التجارب واسع الاطلاع طلق اللسان، وفي تعبير أحمد أمين: " وعلى الجملة، فلئن كان أبي هو المعلم الأول، فقد كان هذا الأستاذ هو المعلم الثاني، انتقلت بفضله نقلة جديدة، وشعرت أني كنت خامدا فأيقظني، وأعمى فأبصرني، وعبدا للتقاليد فحررني، وضيق النفس فوسعني"، وقد أظهر أحمد أمين حزنه العميق حين مات أستاذه هذا، حتى لقد ترك في عينه دمعة وفي قلبه حسرة[1].

أما الشخصية الثانية التي قامت بدورها الهام في تكوينه فهي شخصية " عاطف بركات" ناظر مدرسة القضاء الشرعي التي التحق بها عند افتتاحها سنة 1907م فقد استقال من عمله بالتدريس ليفرغ للدراسة بها، وقد صاحب عاطف بركات خلال سنوات دراسته الأربع بالمدرسة، كما صاحبه منذ أن ابتدأ عاطف بركات نظام المعيدين الذي لم يكن معروفا في مصر، فعين " أحمد أمين" هو

---

[1] - نفس المصدر، ص: 65 -67.

والثلاثة الأول معيدين بالمدرسة، واختاره معيدا معه في دروس الأخلاق، وكان هذا سببا في شدة اتصاله به واستفادته منه، وفي قول أحمد أمين: " ولقد تسلمنى من أبي بعد أن ربانى التربية الأولى، فربانى التربية الثانية، وقد عاشرته نحو ثمانية عشر عاما من سنة 1907م إلى وفاته سنة 1925م منها أربعة وأنا طالب، وهو ناظر و أستاذ، وعشرة وأنا مدرس وهو أيضا ناظر وأستاذ، وأربعة وهو يشتغل بالأمور السياسية وأن اتلقى عنه دروسها"[1]، ثم يفصح عما تركه عاطف بركات في تكوين شخصيته الفكرية والخلقية، وقد ترك أيضا أثرا كبيرا في شخصيته فعلمه أن يحكم العقل في الدين، بعد أن كان يحكم العواطف لا العقل، اعتقادا منه أن الدين فوق العقل، كما أفاد منه سعة في الأفق، وإحاطة في الاطلاع على كثير من أمور الحياة وأسرارها في مصر.

أثر عاطف بركات في شخصيته أثرا بالغا، و لذلك يبلغ انفعال أحمد أمين بالحديث عنه ذروته حين يصف حزنه في لحظة وداعه إلى مثواه الأخير. ولقد تأثر بوفاته تأثيرا يجعله يقول: " وبعد قليل من وفاة أبي يموت أبى الروحي الثاني " عاطف بركات" فأحزن عليه حزنا قريبا من حزني على أبي، و أقف على قبره عند دفنه، وأرثيه بكلمة أودعها قلبي، وأنظر إليه كفنه وهم ينزلونه إلى قبره، فيصفر وجهي ويسيل دمعي، وأحز بأسناني على سبابتي فأكاد أقطعها وينظر أقرباؤه إلي فيجدونني أحزن أكثر مما يحزنون، وألتاع أشد مما يلتاعون فيرثون لحالي ويشفقون مما بي"[2].

وأما الشخصيتان من النساء فالأولى شخصية سيدة إنجليزية عجوز، كانت في نحو الخامسة والخمسين من عمرها، وقد سعى إليها أحمد أمين لكى تعلمه

---

[1] - المصدر نفسه، ص: 156.
[2] - المصدرنفسه، ص: 155 – 156.

الإنجليزية بعد أن عجز عن تفهم دروس الأدب الإنجليزي و تاريخه حين تولت سيدة إنجليزية قبلها تعليمه، فلم يفد منها لقلة إلمامها، فلما اهتدى إلى تلك السيدة العجوز واسمها مس بورpower وجدها على ثقافة واسعة استقتها من الكتب، ومن الواقع كانت رسامة فنانة، وقد توثقت صلته بهذه السيدة، فأفادته، لا في اللغة الإنجليزية وآدابها فحسب، بل في سلوكه وأخلاقه كذلك، و كانت تحثه دائما على أن يتخلى عن وقار الشيوخ الذي لا يليق بشاب مثله في السابعة و العشرين من عمره، ودعته إلى أن يبتهج بالحياة، ويتفتح صدره للسرور و وضعت له مبدأ هو " تذكر أنك شاب" كانت تقول له في كل مناسبة، كما وضعت له مبدأ آخر هو " يجب أن يكون لك عين فنية" حين رأت له عينا مغمضة لا تلتفت إلى جمال زهرة ولا جمال صورة ولا جمال طبيعة ولا جمال انسجام وترتيب، وقد لازمها أربع سنوات استفاد فيها كثيرا من عقلها و فنها و تذوقها للجمال[1].

والشخصية الثانية التي لها أثر عميق في نفسه، هي شخصية سيدة إنجليزية شابة جميلة الطلعة لها عينان تبعثان في النفس معنى الصفاء والطهارة والثقة كانت تعيش مع زوجها الإنجليزي المدرس بالمدرسة الخديوية الثانية. وكان يقضى معها ساعتين مرتين في الأسبوع، ساعة تعلمه الإنجليزية وساعة يعلمها هو العربية، وإذا كانت السيدة الإنجليزية الأولى قد غذت عقله بثقافتها واطلاعها وخبراتها، فأن هذه السيدة الشابة كانت تغذى عواطفه برقتها و جمالها، حتى لقد كان يرتقب موعد درسها بشوق و لهفة [2].

لهذه المرحلة من حياته كان أبلغ الأثر في نفسه، خاصة بعد أن أجاد اللغة الإنجليزية، فأصبح في وسعه أن يطلع بها على الثقافات و الآداب الأوروبية وهو

---

[1] - نفس المصدر، ص: 113 – 116.
[2] - " المصدرنفسه، ص: 117.

ينقل لنا مدى تأثير هذه المرحلة في شخصيته، مبينا مدى ما أحدثته فيها من تحول خطير بقوله: " ماذا كنت أكون لو لم أجتز هذه المرحلة؟ لقد كنت ذا عين واحدة، فأصبحت ذا عينين، وكنت آكل في الماضى فصرت أعيش في الماضى والحاضر، كنت آكل صنفا واحدا من الأشياء ذات لون واحد وطعم واحد، فلما وضعت بجانبها ألوان أخرى وطعوم أخرى تفتحت العين للمقارنة و تفتح العقل للنقد. لو لم اجتز هذه المرحلة ثم كنتِ أديبا لكنت أديبا رجعيا، يعنى بتزويق اللفظ لا جودة المعنى، ويعتمد على أدب الأقدمين دون أدب المحدثين، ويلتفت في تفكيره إلى الأولين دون الآخرين، ولو كنت مؤلفا لكنت جماعا أجمع مفترقا أو أفرق مجتمعا من غير تمحيص ولا نقد" وإن أعظم أثر لتلك المرحلة في حياته يجعله يذهب إلى القول بأنه مدين لها بإنتاجه في الترجمة والتأليف والكتابة، فهذه المرحلة بحق، هي الزهرة الجديدة ألفت باقه مع الأزهار القديمة[1].

ومن الدراسة العميقة لكتاب " حياتي" تتضح لنا مظاهر التغير الجديدة في شخصية أحمد أمين خاصة حين اتصل بالشخصيات الأربع التي سبقت الإشارة إليها، وهو لا يطيل الوقوف عند ذكر نقطة تحول في شخصيته في طور من أطوارها بعد المرحلة التي انتهت عند إفادته العظيمة من السيدتين الإنجليزيتين على كثرة ما صادف في مراحل حياته التي تلت تلك المرحلة، من أحداث ومواقف هي كفيلة بأحداث الكثير من التغير في شخصيته.

وفي أغلب الأحيان يشير إشارة سريعة إلى بعض مظاهر التغير التي طرأت على شخصيته، لكنه لا يثبت أحداثا، تطلعنا على مظاهر هذا التحول، إلا في القليل. وسار على هذا المنهج نفسه عند كلامه عن بقية مراحل حياته ويتضح

---

[1] - "حياتي،ص: 117 – 118.

ذلك عند كلامه على الفترة التي قضاها في التدريس بكلية الآداب حين عرض عليه الدكتور طه حسين هذا العمل سنة 1926م فهو يذكر أنه خلع العمامة والزي الأزهري وآثر أن يلبس الزي الأوربي والطربوش بعد مناقشة طويلة بينه وبين أحد أصدقائه، هو عبد الرزاق السنهوري[1]، و هذا مظهر من مظاهر التغير الخارجي. أما مظاهر التغير الداخلي فهو تظهر قليلا حينما كان رئيسا للجنة التأليف والترجمة والنشر سنوات طويلة ولا شك أنه حدث خلالها من المواقف ما يصيب الشخصية بالتحول في بعض صفاتها و خصائصها العقلية عند مظهرها مكتفيا بالكلام عن دور هذه اللجنة في الحياة العامة، فلا يود الأمثلة التي تعكس لنا ملامح هذا التغير[2].

صدقه وتواضعه وإثباته للتواريخ والأسماء والأماكن:

مما لا شك فيه أن هذه الترجمة الذاتية تتميز بين الترجمات الذاتية العربية في الأدب العربي الحديث بصفات الصدق و الصراحة و التواضع الخلقى و كذلك الإثبات للتواريخ و الأسماء والأماكن. ويطول بنا الكلام، إذا نتحدث عن الشواهد التي تدلك على ذلك، ويكفى بنا الإشارة إلى أمثلة قليلة، تتصف صورة واضحة بهذه الصفات.

ومن صدقه و صراحته، اعترافه بأنه لم يكن بارعا في دروس الإنشاء حين كان مدرسا في المدارس الابتدائية، حتى لقد كان بعض تلاميذه يكتبون خيرا

---

[1] - " نفس المصدر، ص: 159 – 160.
[2] - نفس المصدر، ص: 166- 162.

مما يكتب، إذ كان يميل في أسلوب كتابته وقتئذ إلى استعمال السجع وإن لم يلتزمه لغلبة ما حفظه من مقامات بديع الزمان ورسائله [1].

ومن تواضعه و صراحته أيضا اعترافه بأنه كان يشارك في المساهمة في السياسة، و يشارك بعض من صاروا من زعماء السياسة، و يشارك بعض من صاروا من زعماء السياسيين فإنه لم يندفع اندفاعهم، ولم يظهر فيها ظهورهم، لأنه لم يتشجع شجاعتهم. فكان يخاف السجن و يخاف العقوبة، و كان مفرطا في التفكير في العواقب، وفي قوله: " من فكر في العواقب لم يتشجع"[2].

ومن تواضعه حين اختير عميدا لكلية الآداب، إذ أنه دخيل على الجامعة بحكم تربيته الأزهرية الأولى وتربيته شبه الأزهرية في مدرسة القضاء، و أنه بذلك ليس من أبناء الجامعة، و لم يتعلم لغة أجنبية إلا ما تعلمه من اللغة الإنجليزية بعناء وبقدر محدود، وفي قوله: " فكيف أختار لهذا المنصب و أرأس الأساتذة الأجانب و الأساتذة المصريين ممن تعلموا في الجامعات الأوربية، و نحو ذلك؟ الحق أنى أكبرت هذا كله، و شعرت بالمسؤلية الكبرى الملقاة على عاتقى، ولكنى تذكرت قول المرحوم الشيخ محمد عبده " إن الرجل الصغير يستعبده المنصب و الرجل الكبير يستعبده المنصب"[3].

ومن صراحته ما يعترف به من حدوث مشاجرة بينه و بين سيدة أثناء ركوبه عربة سوارس، وما يعترف به من حبه المدرسة الإنجليزية الشابة التي كانت تعلمه لغتها، وما يعترف به من حدوث مشكلات و عواصف، في بعض الفترات كانت تثور بينه و بين زوجه، ويقول أحمد أمين في ألفاظه نفسه: " وكانت

---

[1] - نفس المصدر، ص: 68.
[2] - نفس المصدر، ص: 148-149.
[3] - نفس المصدر ، ص: 206-207.

نظريتى في الأولاد تخالف نظريتها، فكان من رأيي الاقتصار على ولد أو ولدين، ولكن زوجتي لا ترى هذا الرأى، ولم تعبأ بالمتاعب التي كانت تلاقيها في الولادة و التربية، فرزقت بعشرة أولاد- ولله الحمد- مات منهم إثنان في طفولتهما، وبقى لى ثمانية، ستة أبناء و بنتان"[1].

و تختص سيرته الذاتية أيضا بصفة إثبات التواريخ والإفصاح عن أسماء الشحصيات و الأماكن و تمتاز بها من التراجم الذاتية العربية الأخرى، و إذا تطالع هذا الكتاب من أوله إلى آخره، تحس بأن الكتاب أقرب من كتب التاريخ من ناحية. هذه التواريخ و أسماء الشخصيات و الأماكن تجعلنا نستفيد كثيرا من الأحوال الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية المصرية في ذلك العصر.

أحداث الفكاهة:

إن سيرته الذاتية تختص أيضا بصفات أحداث الفكاهة. و إذا تقرأ أو تسمع هذه الأحداث الفكاهية لا تستطيع التوقف من الضحك. و يطول بنا الكلام، إذا نتحدث عن جميع الشواهد التي تدل على ذلك، و يكفى بنا الإشارة إلى أمثلة قليلة، تتسم صورة واضحة بهذه الصفات.

ذات مرة أتيحت لأحمد أمين فرصة السفر إلى الغرب مع صديقه الدكتور عبد الرزاق السنهوري عام 1938م في مؤتمر المستشرقين في بروكسل وحدثت له هناك حادثة طريفة مضحكة كما يقول أحمد أمين: " و حدثت لى حادثة طريفة في بروكسل، فقد ذهبت إلى حلاق لا يعرف كلمة إنجليزية و أنا لا أعرف كلمة فرنسية فكان كلما حدثتى بالفرنسية قلت yes و إذا حدثته بالإنجليزية

---

[1] - نفس المصدر، ص: 140.

قال لى oui و أنا لا أفهم ما يقول، و هو لا يفهم ما أقول حتى رأيت آخر الأمر رأسى و ليس بها إلا شعر خفيف جدا قصير جدا والدنيا برد، و أنا مضطر عند دخولى قاعة المؤتمر أن أخلع قبعتى، فلا أجد بها شعرا يقاوم بردا ولا يجمل منظرا، و قصصت القصة على زميلي الدكتور طه حسين والدكتور عبد الوهاب عزام فضحكا و أغرقا في الضحك، و قال الدكتور طه: إنى سأضع رواية اسمها " حلاق بروكسل" على نمط " حلاق إشبيليه" و نظم الدكتور عزام قصيدة أذكر منها:

و نظر الأستاذ في (المرايه) فلم يجد في رأسه (شعرايه)[1].

وفي صباه كانت جدته – هي أم أمه – طيبة القلب شديدة التدين، يضيئ وجهها نورا، تزوره من حين لآخر و تبيت عنده فيفرح بلقائها و حسن حديثها، و كانت تعرف من القصص الشعبية – الريفية منها و الحضرية -، فيتحلق حولها و يسمع حكاياتها ولا يزال كذلك حتى يغلبه النوم، و هي قصص مفرحة أحيانا مرعبة أحيانا، منها ما يدور حول سلطة القدر وغلبة الحظ، و منها ما يدور حول مكر النساء و دهائهن، و منها حول العفاريت وشيطنتها، و الملوك و العظماء وغير ذلك، و حدثت له مرة حادثة مضحكة كما يقول في كلماته: " و أحيانا كان أخي الكبير يقرأ لنا في ألف ليلة و ليلة، فإذا أتى إلى جمل ماجنة متهتكة تلعثم فيها و خجل و اضطرب و حاول أن يتخطاها، و أحيانا يزل لسانه فيقرؤها فيضحك بعض من حضر، و تخجل أمى و جدتى فيهرب أخى من هذا الموقف المربك، و تقف القراءة "[2].

---

[1] - " حياتي " ص:198-199.
[2] - المصدر نفسه، ص: 21.

و كان في بداية الأمر في جامعة الأزهر- و هو طالب في سن الرابعة عشرة تقريبا – لا يفهم الدروس و عانى كثيرا من المصاعب و المشاكل التي يصورها أحمد أمين ويقول عن شيخ: " و بدأ يقرأ الدرس بعد أن بسمل و حمدل و دعا بقوله: " اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، و أنت إذا شئت جعلت الصعب سهلا. و كان الكتاب الذي في يده و في يدنا شرح الطائي على الكنز، موضوع الدرس الوضوء – قرأ المتن و الشرح ففهمتهما، ولكنه سبح بعد ذلك في تعليقات و اعتراضات على العبارة و إجابات على الاعتراضات لم أفهم منها شيئا، و بعد أن أحضرت كل ذهني و وجهت إليه كل انتباهي لم أفهم أيضا، فشرد ذهني و أخذت أفكر و استعيد في ذكرى المدرسة التي كنت فيها أزاملهم في الفصل، و هؤلاء الطلبة الذين أمامي و ليس لي بهم صلة، و أسبح و أسبح في الخيال ثم يعود ذهني إلى ما يلقيه الشيخ، فأجده في الجملة نفسها و في الاعتراضات و الإجابات نفسها، و يسأل بعض الطلبة أسئلة فلا أفهم ما يسألون، و يجيب الشيخ فلا أفهم ما يجيب. و استمر الحال على هذا المنوال ساعتين أو أكثر من غير أن ينتقل الشيخ من هذه الجملة، وسررت عند ما قال الشيخ " والله أعلم " إيذانا بأن الدرس قد انتهى"[1].

و كذلك حدثت له حادثة مضحكة خلال تعلمه اللغة الإنجليزية من سيدة إنجليزية شابة جميلة متزوجة تسكن مع زوجها الإنجليزي في مصر – و هو مدرس في مدرسة القضاء – كان لها شوقا و رغبة في تعلم العربية و أحمد أمين في تعلم الإنجليزية، فتبادل معها على أن يعلمها العربية و تعلمه الإنجليزية، كانا يقضيان ساعتين في الدرس مرتين في الأسبوع، ساعة تعلمه الإنجليزية و ساعة يعلمها العربية، و استمر على ذلك أكثر من سنة كما يقول أحمد في تعبيره: " و

---

[1]- نفس المصدر، ص: 49-54.

كان يصعب عليها النطق بالعين فكانت تقول: إن عينكم تؤلمنى، كنت أقول في نفسى مثل قولها. وقالت لى مرة: إن اللغة العربية غير منطقية، ألا تراها تؤنث الشمس وهي قوية جبارة و تذكر القمر و هو لطيف وديع، فأولى أن نذكر الشمس و نؤنث القمر كما نفعل نحن في لغتنا. وقالت مرة: ألا تعجب من لغتكم تقول ثلاثة كتب، و تقول ألف كتب، و كان الأولى ما دامت تقول ثلاثة كتب أن تقول ألف كتب. و هكذا من طرائفها الظريفة "[1].

فلسفة السياسة عند أحمد أمين:

ومن دراسة حياة الأستاذ أحمد أمين الكاملة تتجلى لنا أنه لم يساهم في السياسة ولم يظهر رغبته فيها، بل حاول دائما أن يبتعد عن الانغماس في السياسة كليا كما كان مزاجه علميا، و إن كان اشترك مرة في المظاهرات السياسية. و نحن نرى وراء عدم مساهمته في السياسة سببين ، السبب الأول: أنه كان يخاف السجن و يخاف العقوبة ومن أهم أسباب خوفه إشفاقه على والديه كما أصبح ابنهما الوحيد [2]، و ذلك لأنه ولد عقب الاحتلال الإنجليزي بنحو أربع سنين، و قد استولى في ذلك الحين نوع من الخوف واليأس، و أحاط الإنجليز مظاهرهم بالعظمة و القوة، وكان حيه في المنشئة مرادا للجنود و الضباط الإنجليز الذين يسكنون القلعة بجواره، و كان كثيرا ما يراهم بالجاكتة الحمراء والسراويل الزرقاء فيرعب منهم و يعدل عن طريقهم. و قلما كان يتحدث أبوه في السياسة و شؤونها، فإذا تحدث ففلسفته فيها كفلسفة كثير من الشعب، أن هذا قضاء الله و انتقام من عبيده. فبظلم المصريين بعضهم بعضا، و ظلم حكامهم لهم و بعصيان الله في أوامره و نواهيه، سلط الله عليهم الإنجليز يسومونهم سوء العذاب، ولا

---

[1] - نفس المصدر، ص:117-118.
[2] - نفس المصدر، ص:148-149.

يمكن أن ترفع عنا هذه الغاشية حتى يستقيم المصريون و يعدلوا و يلتزموا أوامر الدين. أما نقد الحكام في تصرفهم، أو نقد الإنجليز في حكمهم، فمسكوت عنه لهذه الفلسفة [1]، ويقول أحمد أمين: " و أذكر أنى مرة سألته – وقد كبرت قليلا- عند سماعى لهذه الفلسفة: هل هؤلاء الإنجليز مطيعون الله حتى ينصرهم علينا و يمكن لهم في بلادنا؟ فزجرنى ولم يجب. فلما اتصلت في الإسكندرية بصديقى الأستاذ الذي أثر في كثيرا، و كانت له في السياسة فلسفة أخرى، كفلسفة الشيخ محمد عبده، إذ كان من أنصاره لا من أنصار مصطفى كامل، و فلسفته هي وجوب الإصلاح الداخلي أولا، بنشر التعليم الصالح، و ترقية أخلاق الشعب، ثم الاستقلال يأتى بعد ذلك تبعا عكس سياسة مصطفى كامل التي ترى أن ليس في الإمكان الإصلاح الداخلي للشعب ما لم يسبقه جلاء الإنجبيز و استقلال المصريين. ولذلك كانت وطنية الشيخ محمد عبده عقلية، و وطنية مصطفى كامل وطنية شعورية، و قد تأثرت بكلام صديقى الأستاذ، و انحزت إلى رأيه"[2]. ويقول الأستاذ أحمد أمين في موضع أخر: " ظللت أساهم في السياسة و أشارك بعض من صاروا من زعماء السياسيين، ولكن لم اندفع اندفاعهم، ولم أظهر في السياسة ظهورهم، لأسباب أهمها أنى – على ما يظهر- لم اتشجع شجاعتهم، فكنت أخاف السجن و أخاف العقوبة، ومن فكر في العواقب لم يتشجع"[3].

والسبب الثاني هو أنه كان مزاجه علميا لا سياسيا [4]، ومن أجل ذلك رفض أن يكون رئيس تحرير جريدة سياسية، حين عرض عليه النقراشي باشا عام 1947م، فاعتذر في الحال محتجا بأنه لم يشتغل بالصحافة إلا على هامشها،

---

[1] - نفس المصدر، ص: 69.
[2] - نفس المصدر، ص: 69-70.
[3] - المصدر نفسه، ص:148-149.
[4] - المصدر نفسه، ص:149.

و فرق بين صحيفة أدبية كالثقافة و صحيفة سياسية كالأساس ثم هذا العمل يتطلب انغماسا في السياسة إلى الأعماق و قد كره العمل فيها من قديم، ثم هو يتطلب الكتابة في تأئيد الحزب تأئيدا مطلقا، و الخضوع لآراء قادة الحزب و أفكارهم، و مهاجمة الآراء المعارضة و توهينتها والحط من شأنها، و هذا ما لم تود نفسه في حياته كما أنه قد تلون باللون العلمي الذي يبحث الأمر على الحياد، ثم يرتقب النتيجة كائنة ما كانت، و ليس هذا منهج السياسة الحزبية، و أخيرا هذا العمل يتطلب سهرا بالليل و نوما بالنهار، و مقابلة زيد و عمر و تلقى الأفكار من زيد و عمر وهو عمل لا يوده ولا تحتمله صحته.

بعد تفكير عميق رفض الأستاذ أحمد أمين هذا العمل السياسي، و اكتفى بالأعمال التي لا تتطلب جهدا عنيفا، فعمل في لجنة التأليف و في الجامعة الشعبية وفي دار الكتب و في المجمع اللغوي و في اللجان المختلفة التي كان عضوا بها[1]. وبالجملة لم يكن له رغبة في السياسة، بل كان له رغبة تامة في الأعمال الأدبية و العلمية و الثقافية منذ أول عهده إلى آخر وفاته.

الثورة والصراع النفسي:

على الرغم من أن أحمد أمين استوعب في ترجمته الذاتية الثقافتين العربية الموروثة، والأوربية الحديثة، ومثل غلبة الحزن على طبيعته، وخوفه من العواقب وشجاعته في قول الحق والتزامه الصدق في قوله وفعله، وشدة حساسيته وتأثره وشدة هدوئه واتزانه وتسامحه، وعمق نزعته الدينية والخلقية والفلسفية، ولعل من أجل ذلك، قد خلت سيرته من نقل ألوان الصراع والثورة، لأن موقفه من بيئته، أقرب أن يكون موقف استسلام و إذعان، و تخوف من إقحام نفسه فيما يثير

---

[1] - المصدر نفسه، ص:225-226.

الصراع بينه و بين نفسه، أو بينه و بين مجتمعه، فيقف دائما من مجتمعه موقف المسالمة والمصالحة وهو موقف يتسم في كل مراحل حياته، ولا يريح نفسه من حدة انفعالاته.

وتبدو طبيعته المستسلمة في مراحل عمره كلها على التقريب، وقد عاش طفولة جادة صارمة فرضها عليه أبوه، إذ وضع له منهجا تعليميا شديد الإرهاق، يصعب على طفل أن يحتمله، وكان هذا الضغط الشديد من جانب أبيه سببا لثورة الطفل أحيانا، فكان يهرب من فقيه المكتب ظهرا، أو من الذهاب إلى أبيه عصرا ليستمع لدرسه الذي كان يلقيه في المسجد، أو كان يدعى المرض و ليس به مرض، ولكن إذا اكتشف هذا كان جزاؤه، الضرب الشديد، فتخمد ثورته، فهي ثورة ليست بعيدة الجذور في نفسه. وقد اتضحت هذه الطبيعة المستسلمة لدى أحمد أمين منذ طفولته على ما يبدو من هذه الواقعة[1].

وكذلك ظهرت هذه الطبيعة المستسلمة في مراحل حياته المختلفة ففي صباه لا يرضى عن طريقة التعليم في الكتاتيب الأربع التي تعلم فيها، و كان يحس بالسخط و التمرد على " سيدنا"، لكنه لم يجابه بانفعالاته الساخطة شيخه، فلم يتخذ سخطه إذ ذاك مواقف إيجابية للتعبير عما يصطرع في نفسه، وكذلك أحس بالسخط في مطلع شبابه على علوم الأزهر، و على بعض مشايخه[2] لما كان يعانيه من جد و مشقة في محاولة تفهم علومه و متونه، سواء حين يجلس لدرسها بنفسه، أو بين يدى شيخ من شيوخه، مما جعل كلامه عن الأزهر، يشوبه لون من السخط و السخرية، ولكنه كلام لا يبلغ حد الثورة الإيجابية أو السخرية الموجعة، لأنه لا يلبث أن يتراجع لائذا بطبيعته المؤثرة للسلامة والاستسلام.

---

[1] - " حياتي" ص: 46.
[2] - نفس المصدر، ص: 50-56.

إنه يخوض أنواعا من الأحداث الخطيرة، و يتعرض لضروب من المواقف الشديدة التي من شأنها أن تولد في النفس ألوانا شتى من الصراع في بقية أطوار حياته، لكنه دائما، لا يحاول الصمود أمام هذه الأحداث والمواقف، و إنما يحاول النأى بمبعدة عنها، حتى تمر الأزمة، وتخمد آثارها الحادة، ولذلك، فإنه لا ينقل لنا من معرض كلامه عن تلك الأزمات ما أثارته في أعماق نفسه، من ألوان الصراع و الانفعالات والهواجس.

و في عام 1910م يعرض له، وهو طالب في السنة الثالثة بمدرسة القضاء الشرعي، حادث خطير، كاد يؤدى إلى فصله من المدرسة، إذ ألقى محاضرة في الاحتفال عن " أسباب ضعف المسلمين، أرجع فيه أسباب ضعفهم إلى " فساد نظام الحكم في البلاد الإسلامية"، وإلى مشايعة " رجال الدين" الحكومات الظالمة، و تآمرهم معها، و ختم محاضرته بأنه " لا أمل في صلاحهم إلا بصلاح رجال الحكومة و رجال الدين"[1] فلما انتهى الحفل دعاه عاطف بركات، ناظر المدرسة و أخبره أن بقاءه في المدرسة بعد هذه المحاضرة الجريئة، مرهون بيد القدر، فإن ذكرت الجرائد ما قاله في المحاضرة و استغله في الأغراض السياسية فإنه يضحى به حرصا على المدرسة التي كان يحاربها الخديو، و يكرهها رجال الأزهر و هو لا ينقل لنا مدى ما أحدثه خبر توقع فصله من انفعالات متصارعة متضاربة، حدثت له من غير شك، لكنه يفعل ذلك، و يكتفى بقوله: " وشاء الحظ ألا يكون ذلك، و أن أبقى في المدرسة "[2].

ويعرض له حادث خطير آخر، و هو مدرس بتلك المدرسة، يؤدى إلى فصله من التدريس بها، على أثر اعتراضه على قرار من القرارات النابية، وقد

---

[1] - نفس المصدر، ص: 88.

[2] - نفس المصدر، ص:89.

اتخذت المدرسة هذا القرار، بإشارة من ناظرها الجديد، الذي لم يستقبله عند تسلمه نظارة المدرسة بعد إحالة أستاذه الأثير لدى نفسه عاطف بركات إلى المعاش، و قد تحدث أحمد أمين إلى المدرسين و الطلبة مبينا رأيه في قرار المدرسة، و هاج الطلبة لما سمعوا كلامه، فذهب الناظر الجديد إلى رئيس الوزراء " عدلي يكن " و أبان أنه لا يستطيع العمل معه، فأصدر أمره بنقله إلى القضاء، فعين قاضيا بمحكمة قويسنا الشرعية، و كان هذا آخر عهده بمدرسة القضاء[1].

وهو لا يخبرنا الآلام العنيفة التي اصطرعت في نفسه إثر إخراجه من تلك المدرسة التي أحبها ولا يعكس لنا نفسيته الحزينة المتألمة فحسب، بل يكتفى بنقل هذا الحادث الخطير في حياته على نحو تقريرى، يصف فيه الحادث وصفا خارجيا، يكتفى بتقرير أنه بخروجه من المدرسة، انتهت بذلك مرحلة هي، زهرة عمره، إذ قضى بها خمسة عشر عاما من سنوات شبابه بين طالب و مدرس، نال فيها أكثر ثقافته، و جرب فيها أكثر تجاربه في الحياة، و تعلم خلالها ما استطاع من العلم و من الناس، و لقى فيها أكبر الشخصيات التي أثرت في نفسه، و طبعتها بطابع لازمه طول حياته، ويقرر في النهاية أثر قرار نقله منها بقوله: " لذلك بكيت عليها كما أبكى على فقد أب أو أم أو أخ شقيق، ومما آلمنى أننى تركت التدريس، و هو ما أحبه إلى القضاء، وهو ما لا أحبه، و ظللت أعزى نفس بالاتصال بعاطف بك، و بعض الأساتذة الذين أحبهم اتصال صداقة"[2].

كذلك تعرض له، أحداث خطيرة في الفترات الطويلة التي قضاها في كلية الآداب، فقد كان هدفا لخصومات جعلته موضع الاضطهاد، حتى حرم فترة طويلة من ترقيته إلى وظيفة أستاذ، بحجة أنه لم يحصل على درجة الدكتوراة، و من أجل

---

[1] - المصدر نفسه، ص:148.
[2] - " حياتي " ص:148.

ذلك أنه عانى آلاما نفسية ولدت لديه صراعا، ولكنه لا يكشف لنا هذا اللون من الصراع النفسى بل إنه يثبت ما يدلل على ما نذهب إليه، من إيثاره السلامة، و طبيعته المستسلمة، و ذلك حين يعلق على ذلك بقوله: " فواجهت المسألة روح رياضية"[1].

و حدث له أيضا نوع آخر من المواجهة حين اختير عميدا لكلية الآداب، في أبريل 1939م، ليكون رابع عميد مصري لها، بعد أن تولاه من المصريين ثلاثة هم طه حسين و منصور فهمى و شفيق غربال، و قد عرض له أثناء تولية العمادة، حادث أثار خلافا حادا بينه و بين صديقه الدكتور طه حسين، و قد أدى هذا الحادث إلى انفصال روابط الصداقة بينهما، و هو لا ينقل حين يعرض لهذا الموقف، الانفعالات المتضاربة التي اشتجرت في نفسه، بفعل هذا الصراع، خاصة حين يثيره صديق ظلت روابط الألفة و المؤدة و الإخلاص متوثقة بينهما أعواما طويلة، لكنه يكتفى بتفسير أسباب الخلاف بينهما، سوى تقريره في نهاية كلامه أسفه على هذه الصداقة، وحزنه الذي أبكاه[2].

على الرغم من ذلك كله، أنه أغفل كل ما ينقل لنا، مدى ما فعلته في نفسه، ألوان الصراع حين نشب هذا الخلاف بينه و بين صديقه- على ما تبينا- رغم أنه موقف إيجابى نادر في سيرة حياته، و كان في وسعه أن يعمق إحسانا به، لولا أنه أغفل آثاره النفسية مقتصرا على تحليل أسباب خلافهما و ذكر نتيجته الحزينة في نفسه على نحو تقريرى.

---

[1] - نفس المصدر، ص:201.
[2] - نفس المصدر ، ص:206-209.

و لعل في هذه الأمثلة ما يطلعنا على خلو سيرته من نقل الصراع، رغم أنه أشار في ثناياها، إلى كثير من الأحداث الهامة التي عرضت لحياته، و آلمت نفسه إيلاما. كان من شأنه أن يولد فيها ألوانا شتى من الصراع، لكنه حين يعرض لأحد هذه الأحداث، يقف عنده مفصلا الكلام في ملابساته، دون أن ينقل ما أحدثه في نفسه من تيارات متضاربة، مما قلل من عناصر التأثير الفني في ترجمته الذاتية.

العناصر الفنية في الكتاب:

إن تلك اليوميات التي كتبها حين كان قاضيا في الواحات الخارجية، و ينقل منها يوميات كاملة[1] دون أن يختار منها أحداثا و مواقف يستعين بها في بناء ترجمته الذاتية، و ينتفى منها ما يثبته ليؤدى هدفا فنيا في سيرته. كذلك أثبت يوميات عن رحلته، حين سافر إلى استامبول عام 1928م[2]، كما أثبت نصوص بعض الرسائل التي وردت إليه، دون أن يحسن استخدامها لغاية فنية. و كلها من العوامل التي أضعفت الترابط بين أجزاء ترجمته.

ومن الأمور العادية التي لا جدوى من وراء إثباته إشارته على سبيل المثال، إلى انتقاله من مسكن إلى آخر، و منها إسهابه في نقل ما أصابه من أمراض، إسهابا كانت تغنى عنه الإشارة السريعة مدى تأثيره في شخصيته في طور من أطوارها، كأن ينتج عنه ضعف جهده الفكري مثلا، وقد عرفنا ما فيه أنه أصيب في شبابه بحمى ألزمته بيته فترة، و أنه أصيب في أواخر العقد الخامس من عمره بمرض السكر ثم أصيب في شيخوخته بانفصال الشبكية كما أصيب

---

[1] - نفس المصدر، ص: 101-108.
[2] - المصدر نفسه، ص:172-179.

بالجلطة في 5 يوليو سنة 1950م، قبيل وفاته بسنوات قليلة، و كلها أمراض لها تأثير في إضعاف قدرة الإنسان، خاصة قدرته على الإنتاج الفكري[1].

لكنه في حالة من هذه الحالات، يمدنا بما يترك أثرا عميقا في نفوسنا و ذلك حين يعرض مثلا للكلام عن إصابته بمرض انفصال الشبكية في إحدى عينيه، إذ يفتح لنا قلبه، و يطلق العنان لنفسه في الإفضاء بأحاسيسه، و يسترسل في نقل ما أهاج نفسه، و جعلها نهبا للأحزان و المخاوف و الهواجس أثناء إقامته بالمستشفى خلال فترة مرضه، و يمدنا بما يعمق إحساسنا بالمأساة التي نزلت به، و يدعونا إلى مشاركة أحاسيسه و التعاطف منه، و بخاصة حين يشير إلى ضعف قدرته على القراءة و الكتابة بعد ذلك مع رغبته الشديدة فيها، حتى اضطر أن يستعين بمن يقرا له و يكتب إلى أن اعتاد الإملاء بعد جهد و مشقة، لأن فكره بطيئ إذا أملى.

" و كان إذا أمسك القلم تواردت عليه المعانى و أسرع قلمه في تقييدها[2]".

منذ بداية كلامه عن مرضه هذا، نحس بقدرة الكاتب على الاستحواذ على مشاعرنا، إذ هو يبدؤه بقوله: " هذا هو الطبيب يكشف على عينى و أنا واجف من النتيجة خائف اترقب، والطبيب يفحص و يطيل الفحص بأدواته، ثم يظهر في وجهه ملامح الكآبة، وما يلبث أن يقول:

" خير لى أن أصارحك أن المرض انفصال الشبكية".

- هل لها من دواء يا دكتور؟
- لا دواء إلا عمل عملية.

---

[1] - " الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث" للدكتور يحي إبراهيم عبد الدايم، ص:292-293.
[2] - " حياتي " ص: 238.

- هل هي قاسية؟
- نعم، إنها تحتاج إلى شهر و نصف أو شهرين معمى العينين متخذا وضعا واحدا.

" اضطربت لهذا النبأ، و أحسست خطورة الموقف، و أكبر ما جال في نفس شعورى، بحرمانى من القراءة و الكتابة مدى طويلا، وأنا الذي اعتاد أن تكون قراءته و كتابته مسلاته الوحيدة"[1].

وهي بداية تعتمد على عناصر فنية – كالتصوير المنعكس من داخل النفس، والحوار، و كلها عناصر تثير فينا المتعة و التأثير، و مما عمق من إحساسنا بمأساة مرضه أنه مزج بين عواطفه و خواطره و نقله إلينا نقلا مباشرا، يتدفق من أعماق ذاته، و يبدو من خلال انفعاله الشديد بما ينقله، على نحو ما فعل حين عرض لموت أخيه الأصغر ثم موت أخيه الأكبر[2] وقد أظهر عليهما حزنه و ألمه، و على نحو ما فعل حين أبدى تأثره الشديد بوفاة أبيه ثم أمه[3] وحين أبدى تأثره أيضا بوفاة أستاذه عاطف بركات.

فهو في كل هذه الأمثلة، يضفى على الحدث من ذاته، فينقله كما أحسه، و يعمد في نقله إلى تصوير الحقيقة، لا إلى تقريرها، فيستعين بالحوار، لينقل لنا حقيقة ما دار بينه و بين الطبيب، في بناء درامي يدل على قدرته على الاستعانة بعنصر الحوار، و ربما لا نعثر على ثنايا سيرته إلا على أمثلة قليلة للحوار، لأنه بنى ترجمته كلها على السرد القصصي الذي يقرره

---

[1] - المصدر نفسه، ص:228-229.
[2] - المصدر نفسه، ص:94.
[3] - المصدر نفسه، ص:210.

الحقيقة عن حياته دون استعانة بالتصوير أو التخيل أو الحوار – على ما أسلفنا- مما أضعف في ترجمته الذاتية، بعض عناصر التأثير الفني[1].

لكن الذي أضعف اكتمال المتعة والتأثير في ترجمته الذاتية، تخليه عن نقل ألوان الصراع التي أحدثتها في نفسه، بعض الأحداث الهامة التى عرضت له في حياته، كما أضعف من عناصر المتعة إخلاله لشروط الترجمة الذاتية التي يقصد بها كاتبها أن تكون أدبية، بميله إلى الاستطراد إلى سرد حادثة ذكرته بها حادثة مشابهة، و ولعه بإثبات الدقائق والجزئيات التي لا جدوى منها، في إحدى الخطة المؤثرة لسيرته، وإثباته بعض اليوميات والرسائل وكلها من العوامل التي أضعفت الإحكام في الترابط، وقللت من قوة التماسك بين أجزاء سيرته الشخصية، رغم أنها قائمة على ترابط في السياق العام، فيه قدر غير قليل من القوة، ورغم ذلك كله، فإنها من أكثر الترجمات الذاتية العربية احتفالا بالصدق والصراحة والتجرد و التواضع الخلقي، وربما لا نجد بينها جميعا ترجمة أخرى، تتسم بالنظرة المتجردة من الهوى والعجب الذاتي، و بالتواضع الخلقي، على النحو الذي أتيح لهذه الترجمة[2].

---

[1] - " الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث" للدكتور يحي إبراهيم عبد الدايم، ص:294-295.

[2]- " الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث" للدكتور يحي إبراهيم عبد الدايم، ص:299.

الفصل الثالث

الاعتناء باللغة و أسلوب الكتاب:

إن الأستاذ أحمد أمين في سيرته الذاتية " حياتي" اهتم باللغة و الأسلوب أهتماما بالغا إلى تجويد المعنى أكثر من تجويد اللفظ و إلى توليد المعانى أكثر من تزويق الألفاظ، وهو غارق في المعنى غير ملتفت إلى الألفاظ، و تعود من الأدب الإنجليزي الدخول على الموضوع من غير مقدمة، و إيضاح المعنى من غير تكلف[1]، و يعرض أحمد أمين رأيه في لغة الإعراب: " اقترحت أن تكون لنا لغة شعبية ننقيها من حرافيش الكلمات (على حد تعبير ابن خلدون) و نلتزم في أواخر الكلمات الوقف من غير إعراب و تكون هي لغة التعليم و لغة المخاطبات و لغة الكتابة للجمهور، ولا تكون اللغة الفصحى المعربة إلا لغة المثقفين ثقافة عالية من طلبة الجامعة و أشباههم، و إلا الذين يريدون أن يطلعوا على الأدب القديم"[2].

ويتميز أسلوبه بالبساطة و الوضوح و عدم تكلف الزينة و الزخرفة فهذه الصفة بسبب كراهيته الشديدة لكل تكلف و تصنع في أساليب الحياة. ويقول عباس محمود العقاد عن أسلوب أحمد أمين: " و إنك لتبدأ الكتاب و تنتهى منه بغير توقف لاستطراده في نسق سهل جميل يذكرك إذا جنح إلى الجد بأسلوب الغزالي في أحيائه، و يذكرك إذا تلطف بأسلوب أبى الفرج و أغانيه، ولا أذكر أنى توقفت فيه إلا عند بعض الملاحظات التاريخية أو اللفظية التي قد يتساوى التوقف لديها و العبور بها مع النظر إلى جوهر الموضوع"[3].

---

[1] - " حياتي " ص:215.
[2] - نفس المصدر، ص:217.
[3] - " بين الكتاب والناس" للأستاذ عباس محمود العقاد، ص:24.

و يوجد التواصل و التلازم في كتابة القصص والوقائع في " حياتي" وإن عم هذا المعنى في قول أحمد حسن الزيات أسلوب أحمد أمين ولكننا نجد هذا الوصف في حياتي بشكل كامل فهو يقول: " لعلك لا تجد تلازما بين شيئين أشد ما هو بين أحمد أمين وما يكتب، فقد كان إذا ألف كتابا أو أنشأ مقالا أو ترجم فصلا ظل باقيا وراء كلماته و خلال سطوره، يعرض عليك الصور و يقرر لك الآراء بطلعته الباسمة في غير افترار و لهجته الحازمة في غير أمر، و عقله القوي في غير صلف، و طبعه الحي في غير ضعف، و أسلوبه الهادئ في غير فتور، فلا تدرى أ تقرأ أم تسمع، و كتاب في يدك أم رجل معك"[1].

إن الأساس الذي بنى عليه أحمد أمين ترجمته الذاتية هو رواية الحدث المتصل بحياته، رواية إخبارية، تعتمد على إثبات الحقيقة التاريخية و نقل واقع حياته الماضية نقلا يميل إلى التقرير في كثير من أقسام " حياتي" و إلى التفسير و التحليل في قليل منها، و هو يتفق في ميله إلى التحليل مع العقاد، وإن كانت نزعة التحليل، لديه أقل من تلك التي أتيحت للعقاد، صاحب القدرة العظيمة على التشريح و التشفيق دون غلبة الأسلوب التقريري عليه على النحو الذي نجده لدى أحمد أمين[2].

فالصياغة التي سلكها صاحب " حياتي" هي صياغة قصصية في أبسط صور القالب القصصي إذ أنها لا تستعين بالعناصر الفنية لهذا القالب، كالتصوير و التخيل كما لا تستعين بالعناصر الفنية للبناء الدرامي، كالحوار الأدبي و الصراع العميق. وهي عناصر لا غنى عنها للعمل الأدبي، فهي التي تحرك في نفس الملتقى الأحاسيس الجمالية و النفسية، و هو إن لم يستعن بتلك العناصر الفنية

---

[1] - " وحى الرسالة " لأحمد حسن الزيات، ج/4، ص:148، ط/10، عام 1404هـ/ 1985م، دار الثقافة، بيروت.

[2] - " الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث" للدكتور يحي إبراهيم عبد الدايم، ص:262.

التي استفاد منها طه حسين و الحكيم و نعيمة فيما كتبه كل منهم عن نفسه، على تفاوت بينهم في الإفادة من هذه العناصر، فإنه اختار من الصياغة القصصية طريقة السرد المتصل للأحداث و الوقائع و المواقف الناقلة لسيرة حياته، و أطوار شخصيته، إذ يروى الواقعة تلوة لأخرى، و هذه تفضى إلى حادثة ثالثة و رابعة، مستسلما لما تسعفه به ذاكرته، معتمدا في رواية الأحداث على التداعى الحر للمعانى، و على متوارد الخواطر، متبعا في ذلك طريقة السرد القصصي البسيط لها[1].

وبالجملة إن أحمد أمين سلك طريقا لصياغة ترجمته الذاتية، مقتصرا عليه وحده، هو الأسلوب القصصي الإخباري الذي يكاد يخلو من العناصر الفنية للبناء الروائي أو البناء الدرامي كالتصوير و الحوار و هي في مكانة تتوسط ثنائية العقاد و الأيام لطه حسين من حيث تشابهها مع الأولى في التحليل و التقرير و قلة العناية بالعناصر الفنية الروائية[2].

الكلمات النقدية على "حياتي": يعد كتاب "حياتي" للأستاذ أحمد أمين أهم سيرة ذاتية صدرت عام 1950م بعد صدور "الأيام" عام 1926م للدكتور طه حسين وفيه قصة رائعة جذابة عن حياة الأستاذ أحمد أمين الذي يثير فينا كل معانى الطموح والتحمس والإعجاب، على الرغم من ميزاته الأدبية وصفاته البارزة، هناك بعض الملاحظات النقدية حول هذا الكتاب.

---

[1] - المرجع نفسه، ص: 262-263.
[2] - نفس المرجع، ص:263-264.

ومن الملاحظات النقدية حول كتاب "حياتي" أن صاحب الكتاب أحمد أمين اعتمد على الذاكرة و صنف كتابه بعد أن بلغ من الكبر عتيا، وقد أشار الدكتور إحسان عباس إلى ذلك وبين بأن "حياتي" جاء متأخرا بعض الشيئ[1] فقد كتبه أحمد أمين بعد أن نيف على الستين من عمره، وأدركته الأمراض، و تفرق عنه الأصدقاء، وعانى مرارة الوحدة وفقدان البصر، فأصبح متشائما بالإضافة إلى طبيعته الحزينة، فروايته الأحداث في "حياتي" لم تكن متسلسلة حسب تسجيلها وتطورها التاريخي وكانت روايته أشبه بالفصول المنفصلة التي كتبت ثم جمعت في شكل كتاب "حياتي" وذلك بسبب اعتماده على الذاكرة وضبابية المنهج الذي نهج في تأليفه، وقد يكون اضطراب صحته في السنوات الأخيرة، سببا في ذلك، وترى الدكتوراة سهير القلماوي: إن كتاب السيرة الذاتية يتحرجون من ذكر الكثير من الحقائق المهمة " فما زال الكتاب وخاصة من كتاب الشرق عندنا يتحرجون من ذكر الكثير مما لا بد من ذكره لنفسهم عنهم أنفسهم، خذوا مثلا كتابات كتابنا المصريين عن أنفسهم، مثلا الأيام لطه حسين و حياتي لأحمد أمين، ألا ترون معي فيها كثيرا جدا من التجاوز عن الأهم إلى ذكر ما ليس هاما أبدا في فهم أدب الأدبيين، وانظر إلى سائر الكتاب كيف يغمضون أو يستحيون ما لا يستحي منه ولكن مجرد التحفظ الشرقي الذي يملي عليهم تصرفات معينة"[2].

ومن المؤاخذات أن أحمد أمين ضمن في "حياتي" مذكرات عن الأسفار و الرحلات التي قام بها داخل مصر وخارجها، وكان الأجدر به أن ينشر ذلك منفصلا، فإن السيرة الذاتية لا تحتمل مثل هذه المذكرات التي لا تعدو أكثر من مشاهدات، ومجموعة انطباعات، ليس لها أي دور في تشكيل حياة صاحبها أو

---

[1]- " فن السيرة " للدكتور إحسان عباس، ص/149، ط/2، عام 1956م، دار الثقافة، بيروت.
[2]- " محاضرات في النقد الأدبي" للدكتوراة سهير القلماوي، ص:35.

الكشف عن دواخلها و تطورها وإن كان لا بد فلا بأس من تضمين قدر يسير منها و حسب أهميتها.

إن الأستاذ عباس محمود العقاد قد آخذ بعض الأشياء عند مطالعته لـ "حياتي" و من هذه المؤاخذات اللفظية استعماله كلمة "كوبري" مع استعماله كلمة جسر في موضع آخر وتحرجه من ذكر الفحم الكوك وإيثاره أن يسميه بالفحم الرجيع، وكلمة "أوشك على" و "يحتوي على" ولا حاجة بعد الفعلين إلى حرف الجر، و من تجوزه السائغ إقراره للتعبير عن الطبع في غير المطبعة الأميرية بالطبع " البراني" كما نتكلم عادة عن العملة الأميرية والعملة البرانية، وهو تعبير ظريف على أنني أعلم من أحاديث الأستاذ أن أكثر ما يستجيزه بهذا الاستعمال وأمثاله إنما هو من قبيل التجوز المقصود على سبيل التشريع كأنه يعرب به عن مذهبه إلى الترخيص دون التشديد[1].

على كل حال مع هذه المؤاخذات اللفظية، فإن كتاب "حياتي" لأحمد أمين يعتبر سيرة ذاتية مهمة في الأدب العربي الحديث ويشير شوقي ضيف إلى أهمية هذا الكتاب "حياتي" قائلا: " إنها لا تعني بهذه الحياة بمقدار ما تعني بالأحداث الهامة التي ارتبطت بها فهو فيها إلى ذوق المؤرخين أقرب منه إلى ذوق الأدباء مثل طه حسين و ربما دفعه إلى ذلك دراساته السابقة في العرب و تاريخهم و حياتهم الفكرية، فانحدر في أغلب ما كتب عن تاريخ نفسه إلى تاريخ عصره و لم يعن بأحداثه بل تحول مؤرخا يسجل وهو في هذا التسجيل قلما انفعل بما يرى و يشاهد"[2].

---

[1]- " بين الكتاب والناس" للأستاذ عباس محمود العقاد، ص:29.

[2]- " الترجمة الشخصية " للدكتور شوقي ضيف، ص:120.

خلاصة البحث

إن السيرة الذاتية تعد من الفنون الأدبية مثل القصة و الرواية و المسرحية بأنواعها المختلفة، و لها مكانة عالية في جميع اللغات و الآداب العالمية خاصة في اللغة العربية و آدابها لذلك استعرضت في بحثي السيرة الذاتية في الآداب العالمية نشأة و تطورا، و كذلك ناقشت السيرة الذاتية في الأدب العربي قديما و حديثا مع شروطها و عواملها وأسلوبها و صلتها بالتاريخ.

السيرة الذاتية هي سرد متواصل يكتبه شخص ما عن حياته الماضية، و هي التي يتحدث فيها الكاتب بقلمه عن أحواله الذاتية، فيسجل حوادثه و أخباره، و يسرد أعماله و آثاره، و يذكر أيام طفولته و شبابه و كهولته، و ما جرى له فيها من أحداث الفرح و الترح.

شهد الأدب العربي في العصر الحديث اتساعا كبيرا في مجال السيرة الذاتية التي أصبحت جزءا مهما من الأدب العربي. فإن هناك طائفة من المشتغلين بالأدب قد مارسوا كتابة هذا الفن، و أخرجوا للمكتبة العربية عددا هائلا من المؤلفات في هذا الصدد، فكتب الدكتور طه حسين سيرته الذاتية " الأيام" عام 1926م، فهو الأب الروحي لهذا الفن في الأدب العربي الحديث، وهي أشهر سيرة ذاتية فنية في الأدب المعاصر. وامتد هذا الفن فكتب الأديب المصري أحمد أمين سيرته الذاتية " حياتي" التي ظهرت عام 1950م، بلا شك و لا ريب أن هذا الكتاب نال شهرة فائقة في العالم العربي في أساليبه و طرحه.

هذا الكتاب مع أنه في سيرته الذاتية يصور لنا البيئة المصرية و قضايا الحياة المختلفة من الحياة الاجتماعية و الحياة الاقتصادية و الحياة السياسية في

ذلك العصر، وأوضح كل شيئ في أسلوب علمي رصين، فهو صورة ناطقة لتاريخ جيل و حقبة مهمة من حقب النهضة العربية الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر و النصف الأول من القرن العشرين.

أما أحمد أمين فشخصيته تتسم بالموسوعية، و لعب مع أنه يحتل مناصب مختلفة من التدريسية و غيرها دورا هاما في تطوير اللغة العربية و آدابها في مجالات شتى من الفنون الأدبية، كما قام بدور فعال في مجال التاريخ بإخراج الكتب " فجر الإسلام" و " ضحى الإسلام" و " ظهر الإسلام" و " يوم الإسلام"، و في مجال الصحافة بنشر المقالات الكثيرة في مجلة الثقافة و الهلال و غيرهما، و كذلك في مجال السيرة الذاتية بإخراج " حياتي"، و يبلغ عدد كتبه إلى 29 كتبا.

خلال البحث و التحقيق لكتاب " حياتي" توصلت إلى النتيجة أن لهذا الكتاب مزايا كثيرة قد ذكرتها في هذه البحث، ولكنني وجدت شيئين من أهم مزايا الكتاب، تمتاز بهما سيرته الذاتية من السير الذاتية الأخرى كما اعترفه الأدباء الكبار، وهما كما يلي:

الشيئ الأول هوصدقه و تواضعه و إثباته للتواريخ و الأسماء و الأماكن. وضع الكاتب كل شيئ من الأحداث و الوقائع من حياته اليومية مثل ما وقع و حدث، لم يستر شيئا ولم يضف شيئا من نفسه. من أجل ذلك تختص سيرته الذاتية بصفة إثبات التواريخ والإفصاح عن أسماء الشحصيات و الأماكن و تمتاز بها من التراجم الذاتية العربية الأخرى، و إذا تطالع هذا الكتاب من أوله إلى آخره، تحس بأن الكتاب أقرب من كتب التاريخ من ناحية. هذه التواريخ و أسماء الشخصيات و الأماكن تجعلنا نستفيد كثيرا من الأحوال الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية المصرية في ذلك العصر.

والشيئ الثاني هو اهتمام الكاتب بتجويد المعنى أكثر من تجويد اللفظ و بتوليد المعانى أكثر من تزويق الألفاظ، و هو غارق في المعنى غير ملتفت إلى الألفاظ، يعنى أن الأستاذ أحمد أمين كان يريد دائما أن يبلغ فقط أفكاره و آراءه إلى الناس جميعا بدون لعبة سحر الألفاظ، و كذلك توصلت إلى النتيجة بأن هذا الفن قديم في الأدب العربي و ليس من الفنون المستحدثة كما يظن البعض في عصرنا، و هو جنس أدبي مستقل و مشارك في نسج الثقافة العربية كالرواية و المسرحية و القصة، و عرضت لها بعض الشواهد العلمية و البراهين التاريخية، ولكن هذا الفن أخذ يشكل شكلا فنيا بعد ظهور الكتاب " الأيام" للدكتور طه حسين عام 1926م. فهذه خلاصة بحثي حول الموضوع " أحمد أمين خلال سيرته الذاتية " حياتي" دراسة تحليلية".

قائمة المراجع و المصادر

الكتب العربية:

- إحسان عباس، فن السيرة، الطبعة الأولى، الناشر: دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، عام 1996 م.
- أحمد أمين، حياتي، الناشر: دار المدى للثقافة والنشر، عام 2004.
- أحمد أمين، الشرق و الغرب، الناشر: لجنة التأليف و الترجمة و النشر، عام 1955م.
- أحمد أمين، فيض الخاطر، الطبعة الثالثة، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، عام 1953م.
- أحمد أمين، يوم الإسلام، الناشر: مكتبة النهضة المصرية. سنة الطباعة لم تذكر.
- أحمد أمين، فجر الإسلام، الطبعة العاشرة، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، عام 1969م.
- أحمد أمين، ضحى الإسلام، الطبعة السابعة، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، عام 2001م.
- أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان. سنة الطباعة لم تذكر.
- أحمد أمين، النقد الأدبي، الطبعة الثالثة، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، عام 1963م.
- أحمد حسن الزيات، وحي الرسالة، ج/2، الناشر: دار الثقافة، الطبعة العاشرة، عام 1985م، بيروت.
- جابر عصفور، بين الرواية و السيرة الذاتية، الناشر: مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م.

- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب الحديث، الطبعة الأولى، الناشر: دار الجبل، بيروت- لبنان، عام 1986م.
- سيد بن حسين العفاني، أعلام و أقزام في ميزان الإسلام، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، عام 2004م، الناشر: دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع.
- سهير القلماوي، محاضرات في النقد الأدبي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، مصر. سنة الطباعة لم تذكر.
- شوقي ضيف، الترجمة الشخصية، الناشر: دار المعارف بمصر، القاهرة. سنة الطباعة لم تذكر.
- صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، الناشر: مركز الحضارة العربية، الطبعة الأولى، عام 2001م.
- طه حسين، فصول في الأدب و النقد، الناشر: دار المعارف بمصر، القاهرة.
- عباس محمود العقاد، بين الكتاب و الناس، الطبعة الرابعة، الناشر: دار نهضة مصر، الطباعة والنشر، مصر، القاهرة.
- عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، الناشر: مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع، عام 1998م.
- غيثة بلحاج، المرشد لتراجم الكتاب والأدباء، الطبعة الأولى، عام 1987م، الناشر: غير مذكور.
- فدوي طوقان، رحلة جبلية رحلة صعبة، الناشر: طب دار الثقافة الجديدة، القاهرة، عام 1989م.
- لمعي المطيعي، هذا الرجل من مصر، الطبعة الثانية، الناشر: دار الشروق، عام 1997م.
- محمد رجب البيومي، أحمد أمين- مؤرخ الفكر الإسلامي، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 2001م.
- محمد شكري، الخبز الحافي، الناشر: دار الساقي دت. سنة الطباعة لم تذكر.

❖ محمد عبد الغني، التراجم و السير، الطبعة الثالثة، الناشر: دار المعارف، القاهرة. سنة الطباعة لم تذكر.

❖ نوال السعداوي، أوراقي....حياتي، الناشر: دار الآداب، سنة الطباعة لم تذكر.

❖ يحى أبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، الناشر: دار المعارف، القاهرة، سنة الطباعة لم تذكر.

الجرائد والمجلات والإنترنيت:

❖ مجلة " البعث الإسلامي" ، الصادرة من مؤسسة الصحافة والنشر، لكناؤ، الهند، نوفمبر 2011م.

❖ المجلة السبع، الصادرة من السعودية العربية (صحيفة سعودية الإلكترونية).

❖ www.alshamela.com

الكتب الإنجليزية:

❖ Blanchard Marc Eli: *The Critique of Autobiography*, University of Oregon.

❖ Dickes E.W: *A History of Autobiography in Antiquity*, part one, the University of Chicago press.

❖ Howrth, William L: *Some principle of Autobiography*, the johns Hopkins University press.

❖ M.Symnods, Percival: *The Autobiography and Life History,* American Educational Research Association.

❖ Pike, Burton: *Time in Autobiography*, University of Oregon.

❖ Philipp, Thomas: *The Autobiography in Modern Arab Literature and Culture,* Duke University press.

محتويات البحث

مقدمة	1
الباب الأول: السيرة الذاتية: نشأتها وتطورها في الأدب العربي و الآداب الأخرى	4-34
الفصل الأول: السيرة الذاتية: نشأتها و تطورها	5
الفصل الثاني: السيرة الذاتية في الآداب العالمية	22
الفصل الثاني: السيرة الذاتية في الآداب العالمية	28
الباب الثاني: أحمد أمين: حياته و أعماله	35-75
الفصل الأول: حياة أحمد أمين	36
الفصل الثاني: مؤلفاته	50
الفصل الثالث: إسهاماته في مجال الصحافة و البيان	57
الفصل الرابع: أحمد أمين مؤرخا	68
الباب الثالث: دراسة تحليلية لكتاب " حياتي "	76-115
الفصل الأول: تعريف موجز بالكتاب " حياتي"	77
الفصل الثاني: الخصائص البارزة لـ " حياتي"	84
الفصل الثالث: الاعتناء باللغة و أسلوب الكتاب	111
خلاصة البحث	116
المصادر و المراجع	119
محتويات البحث	122

Ahmad Amin through his Autobiography " Hayati ":

"An Analytical Study"

Dissertation Submitted to the Jawaharlal Nehru University in Partial fulfillment of the requirements for the award of

the degree of:

MASTER OF PHILOSPHY

Submitted by:

Atique Ahmad

Under the Supervision of:

Dr. Rizwanur Rahman

Center of Arabic and African Studies

School of Language, Literature and Culture Studies

Jawaharlal Nehru University

New Delhi-110067

2012